

دُرُوسٌ مِنْ هَدْيِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

سِلْسِلَةٌ دُرُوسٍ رَمَضَانَ

(الدَّرْسُ الْحَادِي وَالْعُشْرُونَ)

سُورَةُ الْمُنَادَاتِ

مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إِلَى الْآيَةِ (٢٦)

أَلْقَاهَا السَّيِّدُ / حَسْبِينُ بَدْرِ الدِّينِ الْحَوْثِي

بِتَارِيخٍ: ٢١ رَمَضَانَ ١٤٢٤ هـ

الموافق: ٢٠٠٣/١١/١٥ م

اليمَن - صَعْدَةَ

هذه الدروس نُقِلَتْ من تسجيل لها في أشرطة كاسيت،
وقد أُلْقِيَتْ ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.
إعداد / يحيى قاسم أبو عَوَاضَةَ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.
اللهم اهدنا، وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.
بالأمس انتهينا من (سورة النساء) هذه السورة التي عنوانها (سورة النساء) وفعلاً إذا تأمل الإنسان يجدها سورة هامة جداً، فيها توجيهات كثيرة، تتناول مختلف القضايا: فيما يتعلق بإقامة القسط، فيما يتعلق بالجهد، فيما يتعلق بالجوانب الأمنية، فيما يتعلق بقيمة هدى الله وأهميته، فيما يتعلق بطاعة الرسول (صلى الله عليه وسلم).

وكان من الآيات الأخيرة فيها هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾ (النساء: ١٧٤، ١٧٥) هذه الآية التي تعطي خلاصة للسورة يفهم منها بأن الله سبحانه وتعالى يريد لعباده المؤمنين - ذكوراً وإناثاً - أن يكونوا على مستوى عالٍ من الذكاء، من الحكمة، من الفهم، من النباهة؛ لأن هذا نور، ووعد إلهي بالهداية إلى صراط مستقيم، أي: أن الله سبحانه وتعالى يريد للنساء - ناهيك عن الرجال - أن يكنَّ على هذه الدرجة العالية من الذكاء، والنباهة، والفتنة، والحكمة، والرؤية الصحيحة، والاهتمامات الكبيرة، كما يريد ذلك للرجال.

الإنسان المؤمن يجب - فعلاً - أن يكون مستنيراً، وأن يكون مهتماً - ولكن ربما أن الإنسان لا يستطيع أن يصل إلى درجة أن يهتدي بهدى الله، ويستنير. وكما قلنا في جلسة سابقة حول قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ (الأنفال: ٢٤) والآية الأخرى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (البقرة: ١٨٦) - الإنسان يحتاج إلى أن يتوجه إلى الله سبحانه وتعالى، كل واحد منا؛ حتى نستفيد، حتى يهدينا الله، حتى نستنير، أن يتوجه كل واحد منا بنفسه إلى الله سبحانه وتعالى، ويقطع، ويعزم مع الله، ويستعين بالله، ويرجو الله أن يعينه بأن يكون مهتدياً بهديه، بمعنى: أن يعزم فيما بينه وبين الله سبحانه وتعالى أنه سيسير على هدى الله، وأنه مسلم نفسه لله، وأنه موطن نفسه للاستجابة لله، وإذا بقي الإنسان هكذا لا يقطع بهذا الشكل مع الله سبحانه وتعالى، وفعلاً كما قلنا أكثر من مرة في أجواء من الاستعانة بالله سبحانه وتعالى: إذا لم تحصل هذه وربما لو سمعنا أشياء كثيرة، لو سمعنا دروساً كل ليلة، لو قرئ القرآن علينا عدة مرات ربما لا يترك أثراً في نفوسنا بالشكل المطلوب، هذا بقية فعلاً لما تناولته (سورة النساء) وما يمكن أن نفهمه إجمالاً من سورة النساء.

نحن الآن مع سورة أخرى، والقرآن كله اتجاهه واحد، وتتناول سوره مختلف المواضيع، لم يأت على طريقة التبويب لكل موضوع باب خاص؛ لأن المواضيع مترابطة، والقضايا مترابطة، والإنسان بحاجة إلى معرفة شاملة في مختلف القضايا، وقد يكون من حكمة الله سبحانه وتعالى أن يكون القرآن على هذا النحو، ولما يعلم بأن كل إنسان من عباده بحاجة إلى أن تُقدَّم له هذه المعارف جملة، وليكون بالشكل الذي لا يمكن لأي جهة أن تتحكم فيه، أو تفصل الناس عن أبواب معينة أو أجزاء معينة منه، أو فصول معينة منه، لو كان مفصلاً، أي: - مثلاً - لو أن القرآن جاء: (باب التوحيد) بعده (باب الصلاة)، (باب الطهارة)، (باب الزكاة) باباً بعد باب إلى أن يصل إلى (باب الجهاد) لربما كان هذا الباب مما تُمنع قراءة سوره، أو مما لا يُسمح بطباعته، فيأتي هذا القرآن العظيم هكذا مدمجاً.

ولهذا نحن في مرحلة فعلاً ونقول منذ زمن: بأنه يجب علينا أن نتمسك بالقرآن وليعمل الآخرون ما يريدون أن يعملوا لن يضرنا ما دمننا متمسكين بالقرآن، ولن ينقصوا علينا شيئاً يُعتبر خسارة علينا في ثقافتنا أو في هدايتنا على الإطلاق، والقرآن هو بالشكل الذي يتهيّب الكل فعلاً أن يتناولوه بطريقة قاسية، أن يجمعوه مثلاً ويحرقوه، لكن لن يتناولوه - مثلما قلنا سابقاً - إلا عن طريقنا نحن، أن يفصلونا عنه، وأن تحرف معانيه أمامنا من قبل أناس منا نحن، أما هم فكانوا يتهيّبون أمام الكتب التي تنزل عليهم أن يمسخوها، نفس الكتاب الذي أنزل على موسى (عليه السلام) نفس الكتاب الذي أنزل على عيسى (عليه السلام) أن يمسخوه هو بتحريف، كانوا يتركونه على جنب، كما قال الله عنهم ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ (الأنعام: ٩١) وسيأتي خلال هذه الآية حديث حول: ما كنتم تخفون من الكتاب، لكن ممكن أن نُضرب نحن بأن نُفصل نحن عن القرآن عن طريقنا نحن، من داخل أبناء هذه الأمة، سواء ممن هم يتحركون برغبة أو برهبة، بغباء، أو بطمع للحصول على مصالح معينة، وهكذا.

ارتباطنا بالقرآن يشكّل - فعلاً - سلاحاً هاماً جداً للمسلمين، سلاحاً هاماً جداً للمؤمنين، ارتباطهم به، أن يقولوا مثلاً في موضوع الخطابة: (اعملوا ما تريدون، فنحن لن نخطب إلا من القرآن) هل يمكن لأيّ جهة أن تقول: (لا، ولا القرآن)؟ لا يمكن؛ القرآن له مكانة في نفوس الناس، وأيّ جهة تقول: (أبداً، ولا القرآن) نقول: (أبعدوا ما تريدون، ولا تتعبوا أنفسكم بأن تبحثوا عن خطباء وكتب مُعَيَّنة ومراجع مُعَيَّنة، وأشياء من هذه، نحن مستعدون ألا نقدّم ولا خطبة واحدة إلا من القرآن، والقرآن لا يمكن أن نسمح لأحد أن يقف أمامه ليسكتنا عنه على الإطلاق). هذه القضية لا بد منها، لا يمكن لهم أن يقولوا: (القرآن لا بأس، لكن الفصل الأخير منه: باب الجهاد فقط - مثلاً - أو الجزء المختص بتاريخ بني إسرائيل منه فقط).

وأنت تقرأ (سورة البقرة) ترى فيها بني إسرائيل، وجهاداً، وصلاة، وإنفاقاً، وصياماً، ونكاحاً، وطلاقاً... إلخ، تدخل (سورة آل عمران) نفس الشيء تدخل (سورة النساء)، (المائدة) وهكذا القرآن حكيم بكل ما تعنيه الكلمة ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ (فصلت: ٤٤) ليس معهم مدخل عليه على الإطلاق، إنما تحصل مداخل علينا نحن، على الإنسان نفسه؛ ولهذا كان الرسول (صلى الله عليه وسلم) يعتبر القرآن سلاحاً، سلاحاً فعلاً، حتى في قضايا كثيرة، لا تعتقد بأن الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان يقرأ كتب بني إسرائيل، أو يحاول أن يجيب عليهم من داخل كتبهم، وأشياء من هذه، بل من القرآن، وسيأتي آيات مما سمعناها حول هذا الموضوع، فالقرآن يُعتبر عصمة، ويُعتبر سلاحاً، وهو مبارك، والتوجيهات منه مباركة، الاعتصام به قضية مقبولة عند المسلمين جميعاً، كل المسلمين ممكن أن يقولوا: (أمّا القرآن فلا، لسنا مستعدين) إلا إذا كان - مثلاً - في بعض بلدان، أو في وضعية مُعَيَّنة عن طريق علماء سوء فعلاً أو خطباء سوء، أو أمة غير واعية لا تفهم وضعية الحكومات الآن، فمتى ما جاء شيء من جهة الوزارة الفلانية قالوا: (قانون دولة، أوامر دولة). يجب أن يفهم الناس - كما نقول أكثر من مرة - نفهم الوضعية الآن بشكل عام، الدول الآن مقهورة، الدول الآن مغلوبة على أمرها، الدول الآن ممكن أن يتفد من جانبها أي شيء حتى وإن كان الكثير منهم لا يريد ذلك، فلم يبق إلا أن يكون الناس هم من يقولون: لا، أي شيء يلمسون فيه يداً أمريكية، يلمسون فيه خططاً يهودية صهيونية، نصرانية، يقولون: لا، لا يمكن، ويعمل الناس في نفس الوقت الأشياء التي يمكن أن تعيق ما يمكن أن يفكروا فيه من أشياء تُبعد الناس عن القرآن، أو تكون أشياء تؤدي في الأخير إلى التحكم في مساجد المسلمين، أو مدارسهم، أو مناسباتهم، أو كيفما كان.

(سورة المائدة) قد سمعنا منها آيات، وتجد فيها حديثاً في نفس الوقت عن بني إسرائيل، إضافة إلى أحكام أخرى فيما يتعلق بمأكولات، ومشروبات، ونكاح، وأشياء من هذه، لماذا يأتي هذا الموضوع متكرراً؟ لأن الإنسان يحتاج إلى أن يكون ذهنه مستحضراً لهذه لأشياء كلها؛ لأنها مترابطة، فلا يكون ذهنك متجهاً إلى ما يسمى: (فقه) وأنت ناسٍ قضايا الأعداء، هذا الذي حصل بالنسبة لنا كمسلمين فعلاً، عندما فصلت الأشياء وقدمت فنوناً، الفقه اعتبر وحده - هناك - كُتِبَ مستقلة وكتباً أصبحت طويلة عريضة (مئات المجلدات) وإذا بالإنسان قد أصبح منشغلاً فيها، وذهنه يسيطر عليه أقوال أصحابها والترجيحات داخلها، ونسي القضايا الأخرى. هنا يذكرك (قضية فقهية) على ما نفهم في هذا الزمن، أو حسب مصطلحاتنا، وهو في نفس الوقت يذكرك أعداء، منافقين، يهوداً، نصارى، مشركين، أو بعنوان آخر أهل الكتاب مثلاً، من كل الفئات؛ ليبقى ذهن الإنسان هكذا: ذهنه يستوعب، وذهنه واسع، ومداركه واسعة، لا يبقى ذهنه مشغولاً فقط بموضوع مُعَيَّن. هذه قضية لمست فعلاً، منهم من يتحول إلى نحوي بحت وغارق في النحو ووجوه النحو وأشياء من هذه، ومنهم من يتحول إلى فقيه مستغرق ذهنه ومسيطر على مشاعره وكل تفكيره قضايا أحكام شرعية فقهية، ناسين قضايا أخرى هامة جداً، هي أساس في أن يكون لهذه اللغة التي أنت تسهر على أن تعرف أحكام مفرداتها سواءً باعتبار الصيغة أو باعتبار النطق، أو هذا الفقه الذي أنت تسهر لمعرفة أحكامه، في الأخير قد تموت بين يديك، إذا كنت تجهل القضايا الأخرى، قضايا إقامة الدين؛ لأن الفقه معناه: أن يفقه الناس هذا الدين، هذا هو الفقه، كتاب الفقه هو القرآن، كتاب الفقه بكل ما تعنيه الكلمة وبمعناها العربي القرآني، أي: فهم الدين بشكل عام، بدءاً من معرفة الله سبحانه وتعالى.

لا يعتقد أحد بأنه يحصل هنا تكرير لمجرد التكرير، التكرير له أهمية كبيرة في تأثيره في النفس، وأهمية من الناحية التربوية، أن تجلس أنت تستعرض، مشاعرك مليئة بهذه المعلومات التي تراها مترابطة، واهتمامك بها يكون اهتماماً بها جميعاً، وليس ببعضها دون بعض، يكون اهتمامك بها أيضاً على أساس أولويات، على

حسب ما تتركه تربية القرآن من أثر في نفسية الإنسان في النظر إلى القضايا، هذه هامة، وهذه هامة، وهذه هامة اليوم وغداً هي أهم، وهكذا.

في بداية هذه السورة يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ (المائدة: ١). التزامات على المؤمنين، وتراها التزامات سواء فيما يتعلق بتعاملهم العام، أو التزامات حتى مع العدو، فيما يحصل من موثيق أو عقود يجب أن يكون هناك وفاء بها، لكن ويجب من البداية أن تقوم العقود على أسس صحيحة، وإذا كانت عقوداً بمعنى موثيق فيما بين مؤمنين وأعداء من أهل الكتاب، أو ممن كانوا أعداء، فهنا يجب أن يُنظر أولاً إلى الطرف الذي يمثل المؤمنين، وأن يكون على مستوى عالٍ من معرفة: هل هو مناسب أن يكون هناك ميثاق مُعَيَّن، وأن يكون هذا الميثاق مثلاً مؤقتاً، ثم متى ما حصلت موثيق فيجب الوفاء بها.

العقود فيما بين الناس، أي التزامات تلتزم بها أنت يجب أن تفي بها، إذا رأيت بأنك مُحرَج مثلاً، حصل حَرَج مُعَيَّن فحاول أن تستقيل من الطرف الآخر، لا تحاول أن تخلف العهود أو تنقض العقد من عندك أنت، بل حاول من جانبك أن تقول: "يا خبير، الالتزام الفلاني أصبح كذا وكذا، ما رأيك؟" (١) يأتي تعديل فيه ممكن، فيما لو تلمس من طرف آخر في موثيق - مثلاً - فيما بين المسلمين وأعدائهم، تلمس من جانبهم أنهم ربما يفكرون في نقضه، أنت لا تقول: (إذا هم يفكرون في النقض أنا سأنقض) ﴿فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ (الأنفال: ٥٨). أعلن بأنكم تَبْدُونَ متجهين لنقض الموثيق؛ إذا انتهى، إذا لم تعودوا تريدون التزاماً (فالوجه أبيض) (٢) - كما يقول الناس - ﴿فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ عندما تريد قضية فيما بينك وبينهم فتكون معروفة وتكون معلنة. الوفاء قضية هامة جداً فيما بين المؤمنين مع بعضهم بعض ووفق التزامات صحيحة يدخلون فيها.

﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِمَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحَلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (المائدة: ١). بهيمة الأنعام تطلق على الإبل والبقر والغنم، الأنعام هي هذه الثلاثة الأجناس التي يطلق عليها الأنعام ويعرف بغلبة الاستعمال إطلاق هذا الاسم عليها. هناك أجناس كثيرة من الحيوانات أبيض اصطياها وأبيض أكلها من خارج هذه الأجناس الثلاثة، وبالنسبة للصيد لا يصح والإنسان مُحْرَم أن يصطاد نهائياً، التأكيد بالنسبة لهذه القضية: ألا يكون هناك اصطياها من جانب المُحْرَمين للحيوانات التي عادة هي حلال في غير وقت الإحرام هو يوحي بأهمية كبرى لحرمة البيت الحرام وما جاور البيت الحرام، نفس تلك المنطقة، وحرمة الفريضة التي تدخل فيها - سواء حجاً أو عمرة - بدءاً من إحرامك.

ثم ربما نفس هذه المخلوقات قد يكون لها دور مُعَيَّن فيما يتعلق بالبيت الحرام، وكما يجد الإنسان أثناء الحج أليس الناس يرون الحَمَام بين الحُجَّاج ولا تنفر منهم؟ قد يكون لديها فهم هي، قد يكون هذا البيت كما قال الله: ﴿وَهَدَى لِلْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٩٦) قد يكون لعوالم كثيرة غير الإنس، وغير الجن، قد يكون لمخلوقات أخرى منها هذه المخلوقات، فإذا وجدنا بأنه لا يصح أن تصطاد صيداً ولو أرنبية أو حمامة، فما أعظم حرمة الإنسان المسلم في ذلك الوقت: وقت العمرة، ووقت الحج وأنت مُحْرَم ولو من الميقات، ثم في تلك المساحة كلها، البيت الحرام وما جاورها، عندما تجد أنه لم يُبَح للناس أن يصطادوا حمامة، فيسفك دم حمامة، فكيف بدم إنسان. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ هو رب العالمين جميعاً، هو ربنا جميعاً، هو يحكم ما يريد، لا يُسأل عما يفعل فيقال له لماذا؟ لا يجوز لي أن أصطاد في هذا الوقت، ويجوز لي أن أصطاد بعده، لا، الحكم هو لله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ كل ما جعله الله معالم لدينه ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ﴾ (المائدة: ٢). أي: لا تستحلوا حرمتها، لا تنتهكوا حرمتها ﴿وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ لاحظ على الرغم من التأكيدات الكثيرة حول الشهر الحرام، تجد بعض الفقهاء يقولون: (منسوخة حرمة هذه الأشهر) وأنت تجدها في عدة آيات، مما يؤكد بطلان قولهم، حرمة الأشهر الحرم حرمة قائمة. ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾ الذي يقدمه الحجاج أو المعتمرون ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ التي تقلد بها الهدى، تصبح لها حرمة أن تترك في الهدى إلى أن يصل محلّه، ثم يتصدق بها على الفقراء مع الهدى، كانوا يضعون قلادة للهدى ليميزه عن بقية الأشياء التي هي مركوبة في السفر، تبين أن هذا (هدى) مثلاً بغير، أو أي شيء من الأنعام ﴿وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ (المائدة: ٢) قاصدين البيت الحرام، لا يجوز أن تنتهكوا حرمتهم.

(١) يا خبير: من اللهجة العامية، وتستخدم للمناداة كمثل: يا صاحب أويها هذا.

(٢) الوجه أبيض: تعني: لا لوم علي فيما قد يحصل مني.

﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ (المائدة:٢٠) لاحظ هذه القضية نرى مثيلاً لها في الآيات السابقة، في السور الماضية: أن الإنسان يترفع تماماً عن العداة الشخصي، عن الغضب الشخصي ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ لا تحملكم عداوة آخرين أعاظوكم ﴿أَنْ تَعْتَدُوا﴾ فتنتهكوا هذه الحرمات، إنما أجاز فيما لو حصل منهم في نفس الوقت، في نفس الشهر، أو حتى في نفس المكان اعتداء من جانب أعداء المسلمين، يحصل اعتداء هو انتهاك لحرمة هذا الشهر فقد أجاز الله للمسلمين أن يردوا ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة:١٩٤).

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبُرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة:٢٠) في حالة كهذه، في أجواء قد يلمس الناس من داخلهم من يتحرك بغضب ويبدو ماذا؟ موقف شخصي، ألا يستثير الآخرين فيستثاروا له، بل يجب ماذا؟ أن يتعاونوا جميعاً على البر والتقوى، ومهما كان يهدونه، يقولون: هذا لا يمكن، لأنه فعلاً قد تحصل هذه، قد يحصل من داخل الناس من مثلاً لا يمسك أعصابه فيستثار غضباً، غضباً هكذا، يبدو وكأنه موقف شخصي، لا، يجب أن يكون الناس من أجل أن يلتزموا، من أجل أن يراعوا الحرم، من أجل ألا ينتهكوا الحرمات، أن يتعاونوا فيما بينهم على تهدة بعضهم بعضاً، لا أن يسمحوا بأن يستثار الناس من قبل من قد تستثار أعصابهم، ويبدو وكأنه موقف شخصي.

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبُرِّ وَالتَّقْوَى﴾ هذه عبارة شاملة؛ لأن التقوى بأن يكون الناس متقين يحتاجون إلى تعاون، قد يأتي التعاون مثلاً في مجال معين من باب التواصي، من باب أن يردوا عليه: (أن الوقت ليس مناسباً الآن، ولا يمكن، أو ليست القضية إليك أنت، وأشياء من هذه) أو لأبي اعتبار كان، أو يكون: أن الناس بحاجة دائماً إلى تعاون فيما بينهم؛ ليصبحوا متقين، وتكون أعمالهم أعمال بر. ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ أحياناً الاستفزازات قد تؤدي إلى أن طرفاً معيناً يستثار ولا تدري إلا واستثير آخرون معه وانطلقوا، وقد تكون القضية تعاوناً فيما بينهم على إثم وعدوان، فهذا منهي عنه.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (المائدة:٢٠) صدر هذه السورة بضرورة إلزام الناس بأن يفوا بالعقود فيما بينهم، فبالأولى ما هو من جهة الله إلزاماً لهم ﴿وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ (المائدة:٧) هذا يعتبر ميثاقاً من جهة الله، إذا كنت ترى بأن الله سبحانه وتعالى يلزم الناس بالوفاء بالعقود القائمة فيما بينهم، فبالأولى يجب أن يلتزموا بالعهد التي تقدم من عنده التي تعتبر ميثاقاً من جهته سبحانه وتعالى، عهداً من جهته سبحانه وتعالى عهد به إلى الناس.

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَّةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذَبَحَ عَلَى النَّصْبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسْقُ﴾ (المائدة:٣) هنا يبين سبحانه وتعالى مجموعة من الأشياء التي تعتبر محرمة على الناس أن يأكلوها، سواء كانت من الأنعام المعروفة، أو من الحيوانات الأخرى التي أباح اصطياها وأكلها.

﴿الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ﴾ معروفة، الميتة من أي حيوان من هذه الحيوانات ﴿وَالِدَمُّ﴾ أكله، وقالوا: كان بعض العرب يشربون الدم. ﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ الخنزير. ﴿وَمَا أهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ ما كان يذكر اسم غير الله عليه عند ذبحه، باسم كذا ويعلن شيئاً آخر. ﴿وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَّةُ﴾ التي تخنق. ﴿وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ التي تضرب - مثلاً - في رأسها أو في غيره فتموت بالضرب. ﴿وَالْمُتَرَدِّيَّةُ﴾ التي تسقط. ﴿وَالنَّطِيحَةُ﴾ التي ينطحها حيوان آخر فتموت. ﴿وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ﴾ مثلاً يأكل السبع ويبقى شيئاً يعتبر محرماً ﴿إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ﴾ ما لحقتم ذكاته من هذه الأشياء التي يمكن أن تلحق ذكاتها^(١) أن يذكي وهو لا يزال حياً، فلا مانع من أكله. ﴿وَمَا ذَبَحَ عَلَى النَّصْبِ﴾ هناك ﴿مَا أهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ وإن لم يكن على نصب، أن يرفع عليه اسم غير اسم الله، أو يذبح على النصب، والنصب كانت عندهم الأصنام أو ما يسمى (المناسح)^(٢) أو أشياء من هذه.

﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ كان عند العرب عادة: لديهم (أقداح)^(٣) معينة إذا كان يريد أن يسافر أو يدخل في قضية - أشبه شيء به (الفأل) - ينظر: هل يدخل في الموضوع أو لا يدخل؟ هل يسافر أو لا يسافر؟ هذا أيضاً مما نهى الله عنه؛ لأن الناس أمروا بأن يتوكلوا على الله، وأن يهتدوا بهدي الله، وأن يسيروا في الأرض يبتغون من فضل الله. ﴿ذَلِكُمْ فَسْقُ﴾ خروج عن طريق الله وسنته.

(١) الذكاة: الذبح.

(٢) المناسح: مفرداها منسح، ويعني: الحجر التي كان البعض يعتقد أنها تنفع أو تضر.

(٣) الأزلام: القداح، ومفرداها قذح وهو سهم مكتوب عليه: افعل أو لا تفعل.

﴿الْيَوْمَ يَنْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ﴾ (المائدة: ٣) لا تخشوا من جانبهم بأنهم قد يعملون حملات دعائية مؤثرة، مثلما كان يحصل سابقاً عندما يقولون: كيف نأكل ما قتلنا ولا نأكل ما قتل الله؟! كانوا يقولون هكذا، عندما كان المسلمون يقولون: الميتة حرام لا تؤكل، قالوا: (كيف نأكل ما قتلنا ولا نأكل ما قتل الله؟! من هذا الشيء، ميتة قد حرمها الله، انتهى الموضوع ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ (المائدة: ١).

﴿الْيَوْمَ يَنْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ اعتبروا بأن هذا الدين قائم قائم، هذا معنى ينسوا. في البداية قد يكون عندهم أمل، ويكونون نشيطين أن يعارضوا، ويعملوا دعايات، ويحاربوا، وأشياء من هذه، لكن عندما واصل المسلمون بقيادة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عمل حتى أصبح الإسلام قضية مسلمة ومفروغاً منها، وانتهى الموضوع، ينسوا أنه لا يزال باستطاعتهم أن يمحووا هذا الدين، أو يعيقوا هذا الدين، أو يؤثروا على أحد، في الأخير يسكتون ويياسون، أي: ينسوا من أن باستطاعتهم أن يعيقوه، أو يمحوه، لكن سيبقى لديهم دوافع محاربتة مثلما قال في آية أخرى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ (البقرة: ٢١٧). (سورة المائدة) يُقال بأنها من آخر السور نزولاً؛ لهذا تجد فيها كلمة ﴿الْيَوْمَ﴾ واليوم تحكي وضعية معينة في أكثر من آية.

﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ﴾ وهذه القضية أساسية في أن يلتزم الإنسان المؤمن في أن يستقيم، يحتاج إلى أن يكون على هذا النحو: أن يخشى الله ولا يخشى غيره؛ لأنه متى ما حصل لديك خشية من غير الله أثرت عليك فيما يتعلق بالتزاماتك أمام الله سبحانه وتعالى، والالتزام بما وجهك إليه، وبما فرضه عليك، فعندما تخشى آخرين فستحاول أن تستجيب لهم، وبالطبع يكون على حساب استجابتك لله.

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: ٣) هذا أشبه شيء بإعلان ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ هذه الآية روي بأنها نزلت بعد إعلان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولاية الإمام علي (عليه السلام) وكلها جاءت في نفس هذه السورة، إنما لماذا لم تأت هناك؟ هذا أسلوب ربما قد مررنا بأمثله له، عندما تجد هناك قضايا تبدو صغيرة وهي محط اهتمام، أليس هنا قضية مأكولات؟ تجدها محط اهتمام في هذا الدين، وتشريع دقيق، والتزامات تقوم على هذا التشريع، هدى في هذه القضايا الصغيرة، تعرف أن هذا الدين الذي يهدي الناس على هذا النحو الشامل، ولا يهمل القضايا الصغيرة، هل يمكن أن يهمل قضية كبيرة؟ هل يمكن؟

إذاً موقع الآية هنا فعلاً مؤثر جداً أن تكون هذه الآية هنا ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ ثم ترى ما هي الأشياء التي ذكرت هنا؟ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ...﴾ إلى آخرها، هذا يعني ماذا؟ أن هذا من دين الله، تجد أن دين الله هو شامل، كامل، فهل يمكن أن تقبل أنت - إذا كنت تفهم الدين على هذا النحو - أن قضية كبيرة قد يقوم عليها موت الأمة إذا ضاعت؟ ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ ألا يمكن أن يُحرم على الناس ما قد يميتهم كأمة؟ هل يمكن أن يهمل قضية تقوم عليها حياة الأمة؟ لا يمكن هذا، ولاية الأمر، من يخلف رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولاية أمر الأمة، قيادة الأمة قضية هامة جداً، إذا لم تكن الأمة على هذا النحو القرآني فإنها ستموت، كيف يُحرم عليك ميتة ولا يُحرم على الأمة ما قد يميتها؟!

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ الدين يُعتبر بهذا الاسم: ديناً، ويُعتبر نعمة إلهية، ويُعتبر الالتزام به وإقامته تسليماً لله سبحانه وتعالى، فدينه هذا هو الإسلام، أي: هو طريق التسليم له سبحانه وتعالى، هو الذي بالترامك به، باهتدائك به، بتطبيقك له تُعتبر مسلماً لله ومستسلماً أمام الله سبحانه وتعالى. ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (المائدة: ٣) هو راجع إلى ما قبل ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...﴾ إلى آخرها، ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ راجع إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصَبِ﴾ وما قبلها ﴿الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ...﴾ إلى آخر المحرمات ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ إلى أن يتناول شيئاً من هذه، لكن في حالة يكون فيها مُشرفاً - فعلاً - على الموت لا يجد غيرها على الإطلاق فاضطر إلى أن يتناول شيئاً منها ليسد به رمقه ﴿مَخْمَصَةٍ﴾ أي: مجاعة ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ يميل لارتكاب إثم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَهُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ...﴾ (المائدة: ٤) إلى آخره، ألم يسبق أن قال لهم: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ (المائدة: ٣)؟ أحياناً تكون الأسئلة غير مناسبة فعلاً، أي: قد تكون وضعية معينة في مسيرة التشريع غير مناسب أن يسألوا نهائياً، قد

تكون وضعية غير مناسب بالنسبة للناس أن يحرم الآن ما يمكن أن يحرمه بعد، قد يكون مسكوتاً عن قضية مُعَيَّنَة، عن أشياء مُعَيَّنَة، قد يكون مسكوتاً عنها، لكن متى ما حصل سؤال أصبح الموضوع هنا إخراجاً، إمّا أن يقول: هي كذا، أو أن يسكت فيأخذوا منها وكأنه أقرها؛ ولهذا تأتي بعض الأسئلة يجيب عنها إجابات أخرى.

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ قد ذكرنا حرم هنا، فإن جاء بقائمة أخرى بالمحرمات فلا بأس وإلا قد تكون هناك قاعدة بأنه أشياء تُعْتَبَرُ خَبِيثَةً، والأشياء الخبيثة هي تؤثر بالنسبة لنفسية الإنسان، حتى الأشياء التي قد يكون شكلها بشعاً، نفس الإنسان متى ما كانت نفساً زاكية وعالية، يرتقي ذوقها أيضاً معها، يرتقي ذوقك، وتجد مقياساً لهذه الأشياء التي أحلها الله سبحانه وتعالى وهي طيبات تجدها جميلة، وتجدها لائقة في أشكالها، سواءً فيما يتعلق بالحيوانات، أو فيما يتعلق بالفواكه. تجد الآخرين يأكلون أشياء فظيعة مثلاً (الجمبري) ذلك الحيوان البشع، وسمك آخر يكون شكله بشعاً، والثعابين، وأشياء من هذه يأكلونها! نفوسهم منحطة، ذوقهم منحط فعلاً، حتى تلمس - مثلاً - انحطاط ذوقهم فيما يتعلق بالصناعات، فالصناعات السابقة كانت أجمل، كلما تقدّموا تراهم يميلون إلى الأشياء الفظيعة، إلى الدمى الفظيعة وكألعاب حتى للأطفال، أليست الدمى كلها فظيعة، وأفلام كرتون كلها أشكال فظيعة كذلك، هكذا أصبح عندهم انحطاط في ذوقهم.

لاحظ فيما يتعلق بالفن الإسلامي كيف كان، كان الفن الإسلامي بعد ظهور الإسلام جميلاً جداً سواء الفن المعماري، أو فن الرسم، أو فن الخط، أو أشياء من هذه، كان راقياً؛ لأن نفسية الإنسان متى ما سمت سما ذوقه أيضاً، ومتى ما انحطت نفسيته انحط ذوقه أيضاً. يعملون الضفادع (محشي) في بريطانيا وفي غيرها، ضفادع يصدرونها لهم من مصر ومن غيرها! أليست هذه أشكالاً فظيعة؟ يعمل الضفدعة (محشي) يحشيها بأرز وخضار، أشكال فظيعة، وثعابين، وأكل كلاب مثلما يحصل في الفلبين!

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلَّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ (المائدة:٤) وأحل لكم أيضاً بأن تعلموا من الجوارح مثل الباز، أو بعض الحيوانات، مثل الكلاب، أو أشياء من هذه التي يمكن أن تتعلم إلى درجة أن تمسك عليكم: تمسك فريسة مُعَيَّنَة وتأتي بها إليك، إمّا أن تهجم عليها وتأكل فهي قد أصبحت مثل ﴿مَا أَكَلِ السَّبُعُ﴾ (المائدة:٣) إن لحقت تذكيتة فلا بأس وإلا فلا تأكل من الباقي.

﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ (المائدة:٤) لأن هذا معنى التعليم: أن تعلمه إلى درجة أن يعرف بأنك تزجره لينطلق للفريسة ويأتي بها إليك، إمّا أن ينطلق فقط فتلقائياً ولا تحتاج إلى أن تعلمه، كلب - مثلاً - رأى أرنبه تقول له يلحقها هو تلقائياً يلحقها يصطادها، لكن لا، التعليم هو يكون على هذا النحو: يصل إلى درجة أن يعرف أنك تزجره للصيد، وأن يفهم أنك تريد منه أن يأتي به إليك.

﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ﴾ أليس هذا يدل على أن هذه الحيوانات تُدرِك؟ تُدرِك فعلاً، قابلة أن تتعلم، لكن عندما لم يتعلم الإنسان هو، لم يتعلم الإنسان هو فعلاً؛ لأن (المعتزلة) يقولون هكذا: (نحن لدينا عقول إمّا هي فليس لديها عقول فهي لا تُدرِك، إنما فقط هي لديها غرائز، ولا تدري ماذا تعمل)! ﴿تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (المائدة:٤) قد يكون - مثلاً - ذكرا سم الله عليه عند إطلاقه - كما يقولون - عند إطلاق الكلب مثلاً للصيد، وعندما يأتي به فاذا سم الله عليه: عندما تذبحه، عندما تأكل منه.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أليس هنا أوامر بتقواه؟ هذه حدود لا يتعدها الإنسان ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فلا يكون معك كلب تعلمه قليلاً على أساس أنه قد صار يلحق الفريسة ويذهب هناك يربض عليها ويأكل منها وتلحق تأكل الباقي وهو لم يمسك عليك، أيضاً فيما يتعلق بالأشياء السابقة من عند ما قال عنهم: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ ألم يلفت أنظارهم في الأخير إلى مسألة الالتزام؟ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ اتقوا الله، أي: كونوا ملتزمين؛ لأن التقوى التي تعني الالتزام والحذر من المخالفة تحتاج إلى ماذا؟ إلى اهتمام من جانبك وأنت تتلقى هذه التوجيهات، بمعنى - مثلما كنا نقول بالأمس - ألا يُربِّي الإنسان نفسيته على موضوع التساؤلات؛ لأنه قد يحضر في مقام معيّن مثلاً وفي رأسه قضية يريد أن يسأل عنها تشغله طول الجلسة، يكون منتظراً متى ستكمل حديثك حتى يُقدِّم سؤاله، لم يعد يهتم بأن يصغي؛ فهذا قد يؤدي إلى خلل في ماذا؟ في أنه لا يتفهم وبالتالي نقص في تقواه؛ لأنك إذا لم تفهم أهمية الشيء فلن يكون لديك اهتمام بأن تلتزم به، وبالتالي معناه أنك لا تكون متقياً.

هل أجاب هنا على ﴿مَاذَا أَجَلَ لَهُمْ﴾؟! لأنهم عندما يكونون سائلين قد يكونون سائلين عن قائمة: ما هو الذي أجل لهم؟! يقول: أجل كذا، وأجل، وأجل... إلخ ﴿فَلْ أَجَلَ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ﴾ والطيبات هي التي أحلها، ليست الطيبات كل ما قد يطيب لك أنت؛ لأنك أحياناً قد تهبط نفسيتك، فيصبح شيء هو في الواقع خبيث يصبح طيباً عندك مثلما ترى آخرين؛ لأن الله يذكر عن رسوله (صلى الله عليه وسلم) أنه يحل لهم الطيبات، إذاً فالطيب هو الذي قد أحله، ليست الطيبات قضية مزاج.

مثلاً الكلاب التي يأكلونها في جنوب آسيا، والذين يأكلون أشياء أخرى، وتؤلف في المطاعم وبين الناس، وتصبح طبيعية، إلى أن تصير لديك طبيعية وهي خبيثة في الواقع، أي: الذي قد أحله لكم هو الطيبات ﴿أَجَلَ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ﴾ أي: أن الطيبات ليست قضية مزاجية، إن الله هو الذي يعلم بما هو طيب وما هو خبيث، فالذي قد أحله هو الطيبات، والذي حرّمه هو الخبيث.

﴿الْيَوْمَ أَجَلَ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتِ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة: ٥) إذا هذه الآية تصدّرت بقول الله تعالى: ﴿أَجَلَ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ﴾ بمعنى أنه عندما يحل شيئاً آخر فلا تعتقد بأنه يحل طيبات ويحل أحياناً بعض خبائث، لا، كل ما يحله هو طيبات: يطيب لك أن تتناوله.

كلمة: ﴿الْيَوْمَ﴾ هي تعني وضعية، وقضية الوضعية: قد تأتي وضعيات معينة أحياناً تعتبر أشياء فيها مباح تناولها أو عملها؛ لهذا مثلما نقول: إننا عندما نقرأ القرآن سنعرف أسس التشريع، ليست قضية قواعد أصول فقه على الإطلاق، التعامل مع مجرد المفردة هكذا ليستنبط منها حكماً ثابتاً باستمرار، أو يستنبط منها لا شيء، وضعيات لها أحكامها ﴿الْيَوْمَ﴾ تعني وضعية أمة، وضعية مسلمين، أي: وضعية كوضعية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ومجتمعه عندما نزلت (المائدة) كيف كانت تلك الوضعية؟ ألم يكونوا هم (الأعلان) وضعية متمكنين، وضعية أمة قائمة، وضعية أمة قد قهرت أعداءها فعلاً؟ إذاً وضعية كهذه لها أحكامها الخاصة.

هذا أولى من أن نحاول مثلاً أن نأتي إلى أشياء معينة: تخريجات، أو تأويلات، أو أشياء أخرى، لا، ﴿الْيَوْمَ﴾ وعند العرب يسمون (اليوم) مرحلة، تاريخ يسمى يوماً عندهم، قد يسمون - مثلاً - قتلاً بين قبيلة وقبيلة استمر كم أشهر يسمونه (يوم) يطلقون عليه كلمة: يوم. هذا أولى - أعتقد - هذا أحسن، والإيكون بعيداً عن باقي الآية، باقي الآية خطير، عندما قال الله فيها: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ لأنه في وضعية معينة تكون الأمة فيها قد لا يكون هناك مانع، لكن وضعية كوضعية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ويكون تقدير الوضعية يعود إلى من؟ إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أو إلى من يكون قائماً مقامه - فعلاً - بكل ما تعنيه الكلمة، في تقدير الوضعية، فهنا قد يكون فعلاً ومثلما تصرح الآية: ﴿طَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتِ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ (المائدة: ٥) ما زالت كلمة ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ قضية أخرى، قد تكون كلمة ﴿أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ - فعلاً - أخص من (أهل الكتاب) رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهو في غزوة من الغزوات أو في حصار معين استصفى (صفية) وبسرعة وكأنها لم تسلّم إلا بعد أن استصفاها.

إذاً في وضعية كهذه عندما يقول: ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: في وضعية كهذه ممكن، وتقدير الوضعية إلى من؟ إلى من يقوم مقام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بكل ما تعنيه الكلمة؛ لأن أهل الكتاب فيهم طوائف كثيرة قد تكون طائفة منهم مشركة يصدق عليهم ﴿وَلَا تَكْفُرُوا بِالْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمَنَ﴾ (البقرة: ٢٢١) وهكذا، وقد يكون طائفة من أهل الكتاب لا يزالون ملتزمين مثلاً، وقالوا فعلاً كان يوجد، ولا ندرى إلى الآن هل يوجد منهم أو لا؟ كان يوجد من أهل الكتاب طائفة ليسوا مشركين، لا يقولون بأن المسيح - مثلاً - ابن الله، ولا يقولون إنه ثالث ثلاثة، وكذلك من اليهود أنفسهم، لكن في وضعية فقط كهذه.

فكلمة ﴿الْيَوْمَ﴾ هي تعتبر ضابطاً لِمَا وراءها كلها، لسنا بحاجة إلى إصدار أحكام مطلقة ولا إقفال مجالات، قد يكون في وضعية معينة فعلاً يكون أهل الكتاب قد أصبحوا ليس لهم كيان نهائياً، ولم يعد لديهم أمل نهائياً، عبارة: ﴿الْيَوْمَ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ (المائدة: ٣) ألم يقل: ﴿الْيَوْمَ يَنْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾؟ ومجتمع يُقدّم نموذجاً جذاباً عن الإسلام، هنا ربما قد يكون احتواء يؤدي إلى ماذا؟ إلى ذوبان هذه الفئة، في

وضعية كهذه، وكوضعية ﴿الْيَوْمَ﴾ في (سورة المائدة) قد تكون وضعية تؤدي في الأخير إلى ذوبان بقايا من هؤلاء لكن من هم؟ ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾.

وأعتقد قد يكون فيها نوع تمييز يختلف عن عبارة (أهل الكتاب) وقلنا في ليلة سابقة: بأنه يأتي في القرآن كلمة (أهل الكتاب، وأوتوا الكتاب) وهي متعددة؛ لأنه عادة المؤمنون فئات، أهل الكتاب فئات، الكفار فئات، المنافقون فئات. أمّا في وضعية كوضعية المسلمين ربما على طول هذا التاريخ، لا نقول إنه الآن فقط، بل على طول تاريخ الأمة من بعد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من يوم ما تولى أبو بكر وعمر فاعتبرها وضعية لم تعد وضعية ﴿الْيَوْمَ﴾ كان الكبير نفسه - كما يحكون - كان يؤثر عليه كعب الأحرار، وصديق حميم لكعب الأحرار! ويترك الإمام علياً هناك، هذا عمر.

إذاً ليس هناك حاجة إلى الاختلاف في هذه القضية، أو قالوا: أحد من أهل البيت أجاز، وقالوا: آخر نفى، قد يكون مثلاً روي عن الإمام زيد كلام شبيه بهذا - ولكن أعتقد أن النقل أحياناً يكون خطأ، وهذا مؤسف فعلاً - قد يكون الإمام زيد قال في أجواء كهذه: لا مانع ﴿الْيَوْمَ أَحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ أحل لكم الطيبات ما زال فيها اعتبار - مثلاً - ظروف معينة يكون الناس في مراحل جهاد، معناه: لا تكون مرحلة أن تبحث عن طيبات، تبحث عمّا طاب من الطعام وما طاب من الأثاث وما طاب من الشراب وما طاب من الملابس وأشياء من هذه، لكن في وضعية قد تكون مستقرة نوعاً ما يصبح شيئاً طبيعياً بالنسبة لك، ثم إن لها أثراً أيضاً فيما بعدها - لا يقال بأنه أحل طيبات ثم جاء بقائمة أخرى تُعتبر خبائث، فكأنه أحل طيبات وما زال يُحل بعض خبائث - تكون استكمالاً أو ربطاً للقضية.

﴿الْيَوْمَ أَحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلُّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ المحصنات بمعنى ماذا؟ العفيفات من المؤمنات ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ هنا جاءت إشكالية حول المحصنات، فعلاً المحصنة تُطلق وتعني أكثر من معنى بحسب السياق الذي وردت فيه، السياق الذي وردت فيه يحدد معناها، المحصنة قد تأتي بمعنى العفيفة، بمعنى المؤمنة، بمعنى الحرة، وبمعنى أيضاً المتزوجة، يأتي من تفسيرها أن معناها: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ بأنه عندما تُسلم فلا مانع، عندما تُسلم، وإنما كلمة ﴿أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ تُطلق على أن معناها: أصلها من أهل الكتاب، والمحصنات اللاتي أصلهن من أهل الكتاب، أي: والمؤمنات اللاتي أصلهن من أهل الكتاب.

هذا يحتاج إلى أن نعرف أنه فعلاً: هل كان يحصل تحرّج عندما تُسلم امرأة من أهل الكتاب؟ هل كان يحصل تحرّج عندما تصبح مؤمنة؟ وهل يتبادر إلى الذهن أن يحصل تحرّج وهم لم يتخرجوا ممن كانت مشرّكة ثم أمنت؟! أعتقد قد تكون هذه فرضية تحتاج إلى أن نعرف فعلاً هل كان يحصل تحرّج؟ وما منشأ التحرّج؟ من أين نشأ التحرّج عن امرأة أمنت من أهل الكتاب؟ ثم تأتي الآية وتعني أنه ﴿أَحِلَّ لَكُمْ﴾ أحل لكم ماذا؟ أن تتزوجوا بهذه المرأة التي قد أسلمت وأمنت ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾.

هنا نستطيع أن نوفق - فعلاً - بين ما روي عن الإمام زيد (عليه السلام) وبين ما روي عن الإمام الهادي (عليه السلام) الإمام الهادي كان يعرف الوضعية التي هو فيها، الإمام الهادي إمام بما تعنيه الكلمة، ويعرف الوضعيات، وأحياناً قد لا يطلق في بعض الأشياء. الإمام زيد قد يكون أطلق على أساس أن يُقدّم رؤية قرآنية في الموضوع فعلاً.

إذاً فلا يقال هنا: إن هناك اختلافاً؛ لأنه في وضعية كهذه - فعلاً - غير صحيح: لا طعام الذين أوتوا الكتاب، ولا نساء أهل الكتاب أن تتزوج منهم في وضعية كوضعيتنا هذه، بل هذه الوضعية على طول إلى أيام أبي بكر، حتى في أيام الإمام علي لم تستقر الوضعية حتى نرى مثل وضعية ﴿الْيَوْمَ﴾ متى جاءت كلمة ﴿الْيَوْمَ﴾؟ بعد ظهور الإسلام، وبعد ضرب الآخرين، وبعد تلاشي الآخرين، وبعد هدى كثير يجعل هذه الأمة تفهم كثيراً، وتعرف كثيراً، وأشياء كثيرة، وقيادة عالية، والقيادة لها دورها الكبير في تقدير الوضعية، وتصنيف الفئات من داخل الذين أوتوا الكتاب ﴿الْيَوْمَ﴾ لا مانع، لكن في وضعية كوضعيتنا وما سبقها ليست وضعية ﴿الْيَوْمَ﴾ لأن أهل الكتاب يستخدمون نساءهم الآن؛ لأن لديهم كياناً قائماً، والمسلمون هم المستضعفون.

المسلمون الآن أمة مستضعفة وممزقة وجاهلة بدينها حتى، يمكن أن تأتي امرأة من أهل الكتاب يتزوج بها أحد وهي في الواقع عميلة؛ لأن هناك كياناً يعمل، هناك دول قائمة لهم وحريصون جداً على تدوير هذه الأمة، فلو أن الزواج مفتوح لأدى إلى ماذا؟ إلى تغلغل نساءهم إلى كل بيت، فالكثير جاهلون بالإسلام، قد يؤثرون على الكثير أن يتنصروا، أو يتهودوا فعلاً، يؤثرون على الكثير أن تكون علاقاتهم جيدة مع وجود كيان قائم لهم،

أي: ليست وضعية أن يذوب فيها أهل الكتاب، ليست وضعية أمة مسلمة، قائمة، متفانية، وضعتها وضعية ﴿الْيَوْم﴾ ففي هذه الصورة لن تقبل لأن يذوب أهل الكتاب فيها، بل قد يُذَوَّبون المسلمين هم. طعامهم كذلك، لاحظ، لأن الإنسان عندما يكون لديه كيان، أو لا يزال لديه طموح أن يقيم كياناً، فقد يسعى إلى أن يستخدم أشياء كثيرة تؤثر على المسلمين: عن طريق الطعام، وعن طريق النساء، تسميم معين، أشياء معينة، وهذه المرحلة التي نحن فيها مرحلة خطيرة جداً، استخدام أطعمتهم؛ لذلك نحن نقول عندما يأتي البعض بهذه الآية في موضوع المقاطعة، مقاطعة بضائعهم، قال إن الله يقول: ﴿الْيَوْمَ أَجَلٌ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ قلنا: نحن بحاجة إلى فقه قرآني، بحاجة إلى أن نعرف القرآن؛ لأن الذي يقول هذا لا يعطي معنى لكلمة ﴿الْيَوْم﴾.

﴿الْيَوْم﴾ هي تحكي لك وضعية هامة جداً، وضعية من الذي يستطيع أن يشخصها إلا من يفهم كتاب الله؟ في الأخير يقول لك: لا، نقول: لا، نحن في وضعية ممكن أن يدسوا في كثير من الأغذية (حبوباً وأدوية وغيرها) سموماً، ومواد أخرى تؤدي إلى أمراض فتاكة، مواد أخرى تؤدي - مثلاً - إلى تغيير في ميول الإنسان ونفسيته، ويحصل عنده حالة لامبالاة، وفتور، وأشياء من هذه، قد صار لديهم خبرات عالية، ويستخدمون خبرات عالية، ولديهم شركات غنية، ولديهم كيان قائم، ويعرفون وضعيتنا أنها وضعية منهاره، أي: هم عندهم أمل الآن أن باستطاعتهم أن يقضوا على هذه الأمة نهائياً.

إذاً في وضعية كهذه لا يصح لأحد من الفقهاء أن يقول: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ نهائياً، على أساس ماذا؟ على أساس ﴿الْيَوْم﴾ الذي هنا يقدم لك وضعية معينة؛ لأنه أيضاً من الناحية الأخرى - لاحظ - أنه في وضعية كهذه يجب أن تحتاط حتى ولو تظاهرت بالإيمان، على أساس أنهم يقولون: إلا إذا آمنت، أليسوا يقولون هكذا؟ إلا إذا آمنت، لا، يلاحظ الوضعية؛ لأنه ممكن بل معلوم أنهم قد يعملون هذا: أن تتظاهر واحدة منهم بالإسلام وتدخل فيه، إذا أمكن أن يكون هناك هدف غير التأثير الثقافي إلى داخل أسرة معينة؛ لتنقل معلومات - مثلاً - تكون عبارة عن جاسوسة، أو تقوم بمهمة خطيرة، مثل دس سم، أو أشياء من هذه، ألا يمكن أن تتظاهر بالإسلام؟ نحن في وضعية ربما قد تصل الحالة إلى أن يكون هناك خطورة حتى ممن هن مسلمات، من بعض الأسر، أو من بعض القبائل، أو من بعض الفئات، ناهيك عن يهودية تظهر الإسلام.

إذاً فعندما يقول: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ الذي يقول على أساس رؤية ثابتة على طول معناها: التي ما زالت يهودية، أما إذا قد أسلمت فجائز، أليس هو سيقول لك: فجائز؟ ليس فاهماً، لا، ليست القضية تحتاج إلى هذا، إنها قضية توحى برؤية ﴿الْيَوْمَ أَجَلٌ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ﴾ اليوم توحى بماذا؟ توحى بتقييم لوضعية ولتعرف أن الآخرين إذا لم يعد لديه أمل في إقامة كيان له، وليس هناك كيان قائم له إذاً لن يفكر أن يحاول أن يعمل سماً أو يحاول أن يعمل أشياء أخرى، بل هو قابل لأن يذوب، خاصة إذا وجد هناك مجتمعاً مسلماً متميزاً جذاباً يمثل الإسلام، لكن ما دام هناك فكرة لإقامة كيان لهم، وما دام هناك كيانات قائمة لهم ودول فهي خطيرة حتى لو أظهرت الإسلام.

لهذا لاحظ الرؤية القرآنية لا تترتب عليها إشكالات نهائياً، يمكنك هنا بدون أن يترتب إشكالات، لكن غير الرؤية القرآنية تجد بعض الفقهاء في الأخير يقول: (الإمام زيد قال كذا) وفلان قال: (الإمام الهادي قال كذا) أما الطوائف الأخرى فتجد الموضوع مفتوحاً لديهم، أليس مفتوحاً لديهم؟ هذه حماقة فعلاً، قضية خطيرة جداً تفتح الشرع على المسلمين، والكثير من الأسر الإسلامية قد تتحول إلى نصرانية، وإذا أصبحت أمك يهودية وخالك إسرائيلياً فهل يمكن أن تتحرك ضد إسرائيل وخالك إسرائيلياً من هذا الكيان القائم؟ لا.

لاحظ أين جاءت هذه الآية في (سورة المائدة) وسورة المائدة نزلت وهم في الوضعية المستقيمة المستقرة بالنسبة لظهور الإسلام، وضرب الفئات الأخرى، أيضاً في نفس الوقت؛ لأن معناها هي مربوطة بقضية تُقِيم أليس كذلك؟ مسألة التقييم قضية واسعة، وقضية دقيقة، هي متروكة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد يكون حتى في نفس الوقت قد يقول لأحد من الناس: لا، لا يتزوج من أهل الكتاب، أحد من الناس - مثلاً - إذا قد صار لديه رغبة أن يتزوج منهم، قد يقول له: لا.

إذاً لا يأت خلل في النقل، افهموا هذه، لا يَكُن الناس هكذا، لا بُد أن يكون الناس عارفين للنقل، أن الآية على ﴿الْيَوْمَ﴾ تحكي وضعية مُعَيَّنَة، في وضعية كوضعية رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عند نزول المائدة، كقضية موكولة إليه أو إلى من يقوم مقامه في تقدير تلك الوضعية.

لا تقولوا في الأخير: (سيدي فلان قال كذا) بعض الناس يختصر الكلام، وفعلاً يقول (السيد حميدان): (إنه يحصل على الأئمة نقل كثير خطأ) من الأشياء التي قد تبدو وكأنها مختلفة، بعضها نتيجة النقل، وقضية ملموسة أن بعضهم يختصر العبارة: (فلان قال كذا) وبسهولة! لا يحاول أن يكون دقيقاً. نحن نقول: بأن الله يعلمنا أن نكون دقيقين في منطقتنا، أن نكون أذكاء، أن نكون فاهمين؛ ولهذا يسميه هدى ونوراً، فأحياناً قد يأتي إنسان قد يضل أمة بسبب نقل خاطئ، نقل خاطئ: عن الإمام زيد، أو عن الإمام الهادي، أو عن أي شخص آخر، في الأخير يُقدِّم النقل الخاطئ المنقوص كعقيدة، ثم لا تدري إلا وقد صار هناك تأرجح، إمّا أنهم قد صاروا يقيّمون الإمام الفلاني مخالفاً لصريح القرآن، أو قد صاروا يقيّمون الإمام الفلاني مخالفاً للإمام الآخر، وهكذا؛ بسبب عبارة نقصها الناقل.

إذاً في وضعية كهذه نقول: حتى لو أظهرت اليهودية أو النصرانية الإسلام فيجب أن يكون الناس بعيدين عنها، إلا في تقديرات مُعَيَّنَة، وقد أظهرت إيماناً، ألسنا ندعو إلى مقاطعة منتجاتهم؟ ندعو إلى مقاطعة منتجاتهم، ولا نعتبر أنه مقبول أن يقول أحد: لكن الله يقول: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ﴾ لأنه لا يعرف ﴿الْيَوْمَ﴾ ماذا تعني.

ومثلما نقول: نحن لا نتربى على أساس فتاوى ينطلق كل واحد كـ(مفتي) إنما - فعلاً - على أساس أنك قد تجد حرجاً عندما تقرأ للإمام الهادي، قد تقرأ القرآن، وتقرأ عن الإمام الهادي، يجب أن تعرف مُنطلق الإمام الهادي، وعلى أساس أنك تعتبره أنه رجل قرآني، قد يكون هناك نوع من الخطأ في النقل عنه، أو يكون قدّم القضية لاعتبار مُعَيَّن لديه؛ لأنه يعرف أن مسألة ﴿الْيَوْمَ﴾ قضية تعني اعتبارات كثيرة، والإمام زيد كذلك، ألم ينقلها الإمام زيد؟

لهذا نقول: نحن بحاجة إلى أن نفهم القرآن، وفهم على هذا النحو الذي قدمناه لا يؤثر سلباً، أول شيء سيجعلك تطمئن بأن قضية الإمام الهادي عندما منع فإنها وضعية - فعلاً - يجب أن يمتنع الناس فيها عن نكاح الكتبايات، وعن تناول طعامهم، والإمام زيد عندما قال هكذا فإن معناه أن الإمام زيداً لا بُد أنه انطلق من منطلق على نحو ما ذكرناه على منطلق ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: أنه في ظل وضعية مُعَيَّنَة على نحو ما كان عليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في وقت نزول المائدة، أي: آخر مرحلة، مرحلة الاستقرار وظهور الإسلام في تلك المرحلة، وقيادة على ذلك النحو، وهي قضية لا يزال فيها تقديرات له أيضاً (صلى الله عليه وسلم) في نفس الوقت.

ثم أيضاً إن العبارة صريحة هنا في القرآن عندما يقول: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ﴾ وهي هنا قضية أساسية؛ لأننا نقراً في القرآن الله يقول فيه: ﴿كِتَابٌ مُبِينٌ﴾ أليس كذلك؟ بينات، ﴿مُبِينٌ﴾ مبين لكن إذا انطلقت برؤية وفق رؤية الفقهاء الذين ينطلقون على أساس قواعد (أصول الفقه) ثم لا تدري إلا وقد صار لديك فكرة: وكان صريح القرآن ما زال يحتاج إلى شيء آخر، صريح القرآن هنا واضح تماماً ولا غبار عليه، لكن الخلل من عند ﴿الْيَوْمَ﴾ متى يحكي اليوم؟ أليس يوم نزول المائدة، يوم نزول هذه الآية؟ وعلى من نزلت، وفي أي وضعية نزلت، بالنسبة للنبي (صلى الله عليه وسلم) هل نزلت في مكة أو نزلت في المدينة؟ هل نزلت في أول الفترة أو في آخرها؟

إذاً فالآية صريحة ولا إشكال عليها، ولا نحتاج إلى أن نقول: المحصنات تعني: كذا، وتمحلات؛ لأن معناه في الأخير أنك تُعطى رؤية أنت وكأنها تفسح لك المجال أمام عبارات صريحة في القرآن لتقول: (لا يزال فيها أخذ ورد)؛ هذا قد يكون متناقضاً مع مسألة بيان، ونحن نقول: إن الله لا يأتي ببيان فيه لبس على الإطلاق، إنما يأتي الالتباس فقط على أساس الرؤية الفقهية، الرؤية التشريعية التي هي نتيجة ثقافة أخرى، أمّا الرؤية التشريعية وفق ما يقدمه القرآن - أي: أن تفهم أسس التشريع هنا على الرؤية التي يعطيك القرآن إياها لتفهم - تجد أنه لا يوجد إشكال، ولا يأتي من جهة الله لابس عندما يقول: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ فيكون معناها: إذا قد أمنت! قد قال هناك: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ أليست موجودة: والمحصنات من المؤمنات؟

إذاً اليهود - فعلاً - وصلوا في تلك المرحلة إلى حالة كيانات منهاره، ألم تكن كياناتهم قد انهارت تماماً؟ خبير، وبنو قريظة، وبنو النضير، ولم يعد لديهم طموح. بالنسبة لليهود هم كانوا في حالة عدا مع الرومان، أي: حتى لم يكونوا يعتبرون دولة الرومان سنداً لهم، لا، بل عندما انتصر الفرس على الروم فرح اليهود، قيل إنهم فرحوا، بل قيل إنهم اشتروا من الفرس عدداً من الأسرى، ربما قد يكون اليهود شمال الجزيرة اشتروا منهم عدداً من الأسرى وهم نصارى، اشتروهم وذبحوهم من شدة عداوتهم لهم.

﴿الْيَوْمَ﴾ هنا هي القاعدة الأساسية لما بعدها، فهنا القضية واضحة، لكن ليس معناها انطلاقة فردية، كل شخص. تجد الصلاة مثلها، الصلاة - مثلاً - ألسنا وجدنا لها في القرآن عدة صور باعتبار الوضعيات؟ تجد لها صورة تصلي وأنت مقاتل فوق الخيل، أليست هذه صورة من صور الصلاة؟ وأنت تصلي ركعتين وأنت مسافر، وأنت تصلي صلاة الخوف تقسمها نصفين، وهكذا. ﴿مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (المائدة: ٥).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (المائدة: ٦) أليس هذا الباب واضحاً - على ما يقول الفقهاء -؟ واضح، انتهى الموضوع.

إذا تفقّهت بفقهِ القرآن فستجده فقهاً واسعاً، وفقهاً يسع الحياة كلها، وفقهاً يستوعب العالمين جميعاً، لكن أن تقول: (أولاً نقرأ، نقرأ، نقرأ) وأمامك كتب لا تنتهي من أقوال آخرين، تضع عمرك بين أقوال متعددة: (قال فلان، وقال فلان، وقال فلان، والأرجح كذا، والراجح كذا، واستدل فلان بكذا، وكذا) تضع وقتك في موضوع واحد من موضوعات الدين مليئاً باللبس والالتباسات، ويسيطر على ذهنك، ومشاعرك، واهتماماتك؛ وهذه غلطة كبيرة. تجد كيف أسلوب القرآن الكريم: يُقدّم قضايا أخرى، مسألة مُعيّنة تتعلق بنكاح، أو طلاق، أو حج، أو وضوء، أو أشياء من هذه، ويحركك في المجالات الأخرى؛ ليكون اهتمام الإنسان بالدين بهذا الشكل: اهتماماً متكاملًا؛ لأنه مترابط فعلاً؛ ولأنه عندما تجد أنه فعلاً في التشريع لا يشرع شيئاً يكون بالشكل الذي يقف أمام تشريع آخر يعيقه، معنى هذا بأنه قد يمكن أن يكون الاهتمام بمجال بالشكل الذي يعيق مجالات أخرى.

هذه منهجية قرآنية يجب أن نستفيد منها في ثقافتنا، أنك إذا جئت إلى الدين تهتم بفن واحد، بفقهِ مثلاً، قسموه لك إلى أشياء متجزئة كثيرة، وتغرق داخل الفقه، فكأنك اهتمت بمجال مُعيّن، وأهملت المجالات الأخرى، كان على حساب أن يكون لهذه المجالات الأخرى اهتمام في نفسك وتهتم بها، معنى هذا في الأخير ماذا؟ أن منهجيتك هنا خاطئة هي تخالف منهجية القرآن؛ لأنك قدّمت مجالاً الاهتمام به طغى على الاهتمام بكل المجالات الأخرى، ترى في الأخير بأنك لم تعد تقوم بهذه الأشياء التي أنت تهتم بها.

الآن أليسوا يقرؤون (فقه) نقرأ فقهاً: أحكام ربا، وأحكام أشياء كثيرة، ولا يستطيع أن يغيّر في واقع الحياة قضية واحدة، أليس هذا حاصلًا؟ إذاً أليس هذا فقهاً مضروباً؟ فقه لم يعد له قيمة في الواقع لماذا؟ لأنه لم يعد معمولاً به، عندما يدرّسك الرّبّ، وأبواب الرّبّ، وأصناف الرّبّ، والبنوك عنده كلها تشتغل بالرّبّ، وهو يأكل ربا، لا يوجد أحد منا قد لا يكون أكله مصبوغاً بالرّبّ؛ لأن كل ما لدينا هي كلها تأتي من البنوك عملة، أو مواد غذائية، هي تأتي عن طريق شركات تتعامل مع البنوك، مصبوغ بالرّبّ، ألم يرو: ((أنه في آخر الزمان قد يكون أندر الأشياء أخ مؤمن، ودرهم حلال))؟ أندر الأشياء.

جالس يبيّن أحكام الرّبّ، والرّبّ حرام، و((درهم من ربا أشد عند الله من أربع وثلاثين زنية))... والخ، لكن وفرغ اهتمامه وعمره في هذا الموضوع، وترك المجالات الأخرى التي لو بقي اهتمام بها لضربت الرّبّ في واقع الحياة فلا يكون هناك ربا، وهذه هي منهجية قرآنية، القرآن ليس فقط كتاب فتاوى، بل كتاب عمل: يعطيك فقهِ المسألة، وفقهِ إقامتها، كيف تعرف أحكام الله، وكيف تعرف إقامة أحكام الله في واقع الحياة.

والذين قد ترسّخ لديهم هم يشهدون هم - وهي قضية فعلاً راسخة من قرون - أليسوا يقولون: (أولاً نبدأ نقرأ)؟! عندما يتحدث أحد عن أمريكا وإسرائيل، وتوعية جهادية، وأشياء من هذه، قالوا: أولاً نبدأ ندرّس الناس، إذاً لاحظ أليس هو هنا يشهد بأن الأشياء قد قدّمت بشكل أن مجالات تحول دون الاهتمام بمجالات أخرى، بالمجالات الكبيرة؟ أليست هذه شهادة تحصل من كلام كل من يقول لك: (أولاً نبدأ نقرأ)؟ إذاً فالمنهجية

الثقافية فعلاً قُدِّمت خطأ من حيث المنهجية، ناهيك عن المادة الثقافية. منهج القرآن ليس فيه (أولاً نبداً) أليس القرآن يأتي بها كلها؟ يأتي بها كلها: يأتي بالجهاد بعد ذكر الوضوء، بعد ذكر الصلاة، بعد ذكر النكاح، كلها مع بعض.

لاحظ هنا أليست الاستفسارات معظمها يأتي بطريقة توحى بسخرية من السائلين؟ ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ وقال في آخر (سورة النساء): ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْوَسْئِلَ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (النساء: ١٧٦) يريدون أن يتعاملوا معه (كمفتي) ما رأيك في كذا؟ قد تقول لو كنت مفتياً: (رأيت بأن كذا حرام، والرِّبَا حرام) لكن حبر على ورق، لا يوجد ما يمكن أن يجعل هذا الحرام يتغير، لا يوجد، أي: الفقه الذي يبني أمة تغير هذه المحرمات ضائع (ليس وقته الآن، أولاً نبداً نقرأ) لماذا أولاً نبداً نقرأ؟ هذا أهم ما يمكن أن نبداً بقراءته (القرآن) يُعلمنا كيف يجب أن تكون منهجيتنا الثقافية حتى نتفادى الخسارة التي وقعنا فيها - فعلاً - بسبب المنهجية الثقافية ناهيك عن المادة الثقافية ما يوجد فيها من غلط.

﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (المائدة: ٧) قبول الإنسان بالإسلام، دخوله في الإسلام، إيمانه بالله وبرسوله وبكتابه ماذا يعني؟ يعني التزاماً ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ تعني ميثاقاً فيما بين الناس وبين الله، فليحذر الناس أن يخالفوا ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ (المائدة: ٨) أليس هذا بعد باب الوضوء، بعد ذكر الوضوء وبعد ذكر الأحكام السابقة؟ أما الآن فربما قد يكون الكثير من المدن تأتي إليها ميات من الخارج، لحم من الصين، ولحم من البرازيل، ولحم من كل مكان؛ لأنه عندما يُحرّم الميتة وليس هناك من يقوم بالقسط فسيعرف الناس أن الميتة حرام، وترى الناس يأكلونها! معلبات تأتي، لحم من الصين، ومن بلدان أخرى؛ لأننا عندما أضعنا الدين أضعنا أنفسنا حتى أصبحنا أمة وكأنه لم يعد ممكناً أن تزرع بلداننا، وأن تُربي حيوانات، وأن نكتفي بأن نأكل مما نربيه من حيوانات، وأن نأكل من مزرعاتنا. يستورد اللحم من استراليا، ومن الصين، ومن البرازيل، ومن فرنسا، من البلدان الأخرى، وكأن اليمن أو السعودية أو أي إقليم من هذه الأقاليم لم يعد يصلح لأن تربي فيه بقرة أو دجاجة!

لهذا كان مهماً جداً ﴿قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ (المائدة: ٨) هناك سابقاً كيف جاءت الآية؟ ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ (النساء: ١٣٥) هنا ﴿قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ أن تكون الآية على هذا النحو لها علاقة بما بعدها، فيما نفهم. ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقُومٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٨) يؤكد ما يأتي في الآيات الأخرى دائماً: (في سبيل الله، في سبيل الله)؛ ليبعد الإنسان عن ماذا؟ عن العداوة الشخصية، هذا هو الذي تعنيه كلمة شَنَا نَقُومٍ ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقُومٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ يجب أن تكونوا ﴿قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ من أجله وفي سبيله ﴿شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ﴾ شهداء بالقسط لله، هنا لله في المقدمة، قوامين لله، أي: في سبيله؛ ليبعدنا عن ماذا؟ عن أيِّ مشاعر شخصية في عداواتنا للآخرين، ألم يركّز هنا على أن يقول: ﴿لِلَّهِ﴾ في المقدمة ﴿قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ من أجله؟

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقُومٍ﴾ ابتعدوا عن ماذا؟ عن أشياء شخصية تحملكم، عن مواقف شخصية لديكم، حتى وإن كان هناك ما هو مثير من الطرف الآخر، يجب أن يكون الموقف كله في إطار ﴿لِلَّهِ﴾ معناه هو نفس المعنى الأول ﴿قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ (النساء: ١٣٥) إنما هنا تذكير بسرعة في قضية ﴿لِلَّهِ﴾ ليبعدنا عن هذه: عن عداوات شخصية، عن موقف شخصي، وأشياء من هذه.

أعتقد أنه قد يكون هضماً للآية عندما يربطونها دائماً بالشهادة، أي: معناها أن تشهد لله في قضية مُعَيَّنة، هذه وحدها نوع أو مظهر من مظاهر إقامة القسط: أن تؤدي الشهادة، لكن المسؤولية كبيرة، القسط معناه: الدين بكله في الأخير، إقامة دين الله، إقامة دين الله هو ما تعنيه كلمة إقامة القسط، إنما ليكن من أجل الله وفي سبيل الله، ولتفهم أيضاً بأن القضية شهادة بأن هذا قسط، وأن الله هو قائم بالقسط؛ لأنك تطبق أحكامه، تطبق توجيهاته، تعمل بهداه.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقُومٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ لاحظ أليست آية واحدة؟ آية واحدة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نَقُومٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ ماذا تعني كلمة (تقوى)؟ تقوى الله، أي: هذا أقرب لك إلى أن تكون ملتزماً فعلاً أنت، و﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ ولو بالنسبة للطرف

الآخر، قضية هامة جداً جداً، أن يكون المسلمون بالشكل الذي يقدمون نموذجاً صادقاً عن دينهم للتأثير على الآخرين، عندما يتأثر الآخرون ستراهم وأنت متجه إليهم سيرحبون بك، أليست الآن تجد العرب يرحبون بأمريكا كشعوب على أساس أنها تظن بأنها ستأتي لتقيم حرية وعدلاً، وهم يعيشون في ظل وضعية سيئة؟ ألم يصبح عند معظمهم - تقريباً - شبه ترحيب؟

فافهم بأنك عندما تقدم الإسلام وتلتزم به فأنت ستكفي هذه الأمة أشياء كثيرة جداً من العناء في سبيل المواجهة مع الآخرين، تتجه إلى الآخرين ويكونون متقبلين لك؛ لأنه ليس هناك قسط في الدنيا إلا عندك أنت، عندما تبرز الأمة كنموذج فعلاً يُقدّم نموذجاً صادقاً عن الإسلام، وإقامة القسط، وهم يعيشون في ظل وضع متخلف من الناحية النفسية، من الناحية الروحية، وفي ظل وضع - أيضاً - قهراً، في حالة صراع، حتى عندما يقول لك: (ديمقراطية) فهي صراع أساساً، أليست صراعاً بين فئات وأحزاب؟ وفعلاً هي صراع يصبح ضحيته ملايين الملايين من ماذا؟ من أموال الناس، ومن جهدهم، وعداوات كبيرة تأتي بينهم.

فهو يمثل، إقامة القسط - بالنسبة للناس - يمثل وقاية، أي: ستقبل على أمة ترحب بك، إنما فقط عندما لا يسافر أحد إلى الغرب ربما، أو مثلاً لا نرى في التلفزيون إلا أشياء تمثل نموذجاً فقط، هناك فقراء ومضطهدون بشكل كبير داخل أمريكا وداخل أوروبا وداخل البلدان كلها، هؤلاء عندما يجدون أمة تكون محط أمل لهم، هم من سيكونون في الأخير سندا لتلك الحكومات الطاغية لديهم، أو لا يكون لديهم أي رغبة أن يتفاعلوا مع حكوماتهم، ويرحبون بالمسلمين، أليست الحرب هنا ستكون سهلة؟ فعلاً تصبح سهلة مثلما الأمريكيون يطمحون بأن الدخول إلى المنطقة سيكون سهلاً؛ لأن الشعوب ترحب بهم، لديهم هذه الفكرة، لكنها ناقصة جداً عمّا قدّمه الإسلام؛ ولهذا يقول: ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ هنا أيضاً أمر آخر بالتقوى بكل ما تعنيه الكلمة، وفي نفس الوقت ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ لا تخلوا، هنا يوجد قضية هامة يقدمها باهتمام كبير ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ هو خبير بأثره، خبير بأهميته، وخبير بأعمالكم عندما تقصرون، حينما تصبحون بعيدين عن التقوى، قد يضربون فعلاً. أي: موضوع إقامة القسط خاصة في كثير من القضايا التي تقدم هذا الإسلام نفسه نموذجاً عظيماً وراقياً عند الأمم الأخرى، بل نحن الآن بحاجة داخل المسلمين خلّ عنك خارج فعلاً، الناس بحاجة إلى أن يقدموا الإسلام بشكل جذاب فعلاً داخل المسلمين أنفسهم، خلّ عنك الغربيين أو الشرقيين.

إذا لاحظ أن المسألة هامة جداً جداً، بعد الكلام عن الموضوع، أليست قضية كبيرة جداً؟ هذا هو المنهج الصحيح، هناك أبواب باب بعد باب، وفقه باستمرار هناك، هناك يضيعون عمرك، ويضيعون اهتماماتك، وتصبح رؤيتك قاصرة تماماً.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ (المائدة:٩) أليست ﴿مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ شبيهة بتلك المسألة ﴿كَفَّالِينَ﴾؟ هذه من الأشياء التي لا يستطيع أحد أن يصل إليها على الإطلاق من أي أنظمة أخرى، من أي ثقافات أخرى، أن يقدم تربية للإنسان على هذا النحو الذي يقدمه القرآن نهائياً، لا يستطيع على الإطلاق، يُقدّم لك تربية تكون قوياً، شديداً ﴿أَعَزَّةً عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (المائدة:٥٤) إلى الدرجة التي تجعل قوتك محط جاذبية للآخرين، أي: ليست قوتك وشدة بأسك وفتكك بالشكل الذي يثير الآخر عليك، لا تحصل بهذا، قدّمها بطريقة متكاملة عجيبة جداً، هنا يأتي وفاء، التزام بالمبادئ في الصراع مع الآخر، وشدة بأس.

فالأمة التي تكون على هذا النحو ستقدم - بهذا الدين وبهذا القسط الذي هو من عند الله - شهادة للآخرين ينجذبون، حين يرجع إليها الطرف الآخر فسيروى أمامه أمة وافية، ملتزمة، مبدئية، قوية جداً، تشكّل أملاً، هو لن يقول: (أمة ليست شيئاً، وضعيفة). لماذا الآن الكثير من العرب ينظرون إلى أمريكا كأمل تحررهم من حكومات عانوا منها؟ أليس هذا حاصلًا على ما كنا نسمع - فعلاً - داخل عراقيين أو سوريين أو سعوديين أو...؟ لماذا؟ لأنهم يعتبرون أمريكا قوية، يرون بأنها فعلاً قوية فلتضرب وإن كان عدواناً يرون ذلك جيداً ما دام سيخلصهم، أليسوا هنا قد صاروا يعتبرونها محط أمل لكونها قوية؟ إذاً هنا قوة، القوة في الإسلام قدّمت لها جاذبيتها، القوة عند أمة ملتزمة وافية، قيم عالية، وفي نفس الوقت تشكّل أملاً لتحرير الآخرين من الظلم، من الاضطهاد في أي بلد من البلدان، في الأخير سينجذبون إليها حتى ربما قد يكون من هم في الميدان، وهذا حصل عند العرب أنفسهم، ألم يحصل؟ في الأخير يراجع حساباته هو، لماذا هو يدخل في عناء كبير مع أمة هي على هذا النحو فتاكة جداً؟

لاحظ في معركة (بدر) كيف يقول الله لهم: ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ (الأنفال:١٢) وعندما

أخذوا منهم أسرى ما كان ينبغي ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخَّنَ فِي الْأَرْضِ﴾ (الأَنْفَال: ٦٧) الطرف الآخر في الأخير يراجع حساباته هو، لماذا يدخل في مواجهة قوية شرسة مع أناس هم أمة ملتزمة، أمة وفيه أمة هكذا يعرف عنها صورة جميلة جداً، ويرجع إلى مجتمعه، ويرجع إلى معتقداته وإذا هي كلها ليست بالشكل الذي يجعله يضحي من أجلها؛ في الأخير ينجذب إليهم.

هنا تكون قوة المسلمين بالشكل الذي يُقدّم أملاً للآخرين، وفي نفس الوقت حتى من هم في الميدان سيراجع حساباته، من هم الذين أسلموا بعد في الجزيرة؟ من هم؟ أليسوا هم الذين كانوا يصارعون في الميدان؟ فعلاً في (بدر) وفي (أحد) هم الذين أسلموا في الأخير، هو يريد أن يقاتل، وهو يرى أناساً أقوياء، لاحظ الروم أنفسهم ألم يتراجعوا في (تبوك)؟ حركة أناس يبدوون أشداء، ولديهم قيادة عالية جداً، وكان قد سبق في (مؤتة) قتال فيما بين الروم والمسلمين ولم يكن المسلمون تقريباً إلا ثلاثة آلاف أو أقل، لكن هناك قيادة لديهم جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وبعده عبد الله بن رواحة، حصل قتال قوي جداً، هنا راجع الروم حساباتهم، ألم يراجعوا حساباتهم؟ قرروا ألا يدخلوا في مواجهة.

هكذا تجد بشكل عام تربية القرآن، كيف يقول للناس أن يكونوا قوامين بالقسط، ويربيهم كيف يكونون في مواجهة الآخرين وكلما يُقدّم صورة عن الآخرين دائماً يرجع إلى مسألة: لا تتأثر نفسيتك أنت بأن يكون لك مواقف شخصية، اترك عداك لله؛ لأن قضية المواقف الشخصية خطيرة جداً في مجال إقامة القسط، وستفقدك جاذبية تقيك الصراع، تقيك فعلاً، جاذبية عند الآخر تقيك أن يكون منشداً وقوياً في صراعك؛ ولهذا ربطها دائماً (في سبيل الله، في سبيل الله، والله، شهداء لله) وهكذا.

لو تنطلق بعنوان وطنية ألسنت ستفقد كل هذه العناوين الهامة؟ لأنك عندما تقول من منطلق قومية عربية مثلاً، أو قومية يمنية، أو قومية مصرية، أو نحوها، هل يمكن أن تشد الآخرين إلى أن يكونوا يمينيين؟ هل يمكن أن تدعوهم إلى أن يكونوا يمينيين، أو يكونوا مصريين؟ هنا يأتي في بعض الآيات، أليس يأتي - أيضاً - بدعوة لهم أن يؤمنوا بالله وبرسوله وبالكتاب الذي أنزل على رسوله؟ أليس يأتي أيضاً بدعوة للآخرين أنفسهم؟ هل يمكن وأنت عنوانك وطنية مُعَيَّنة، قومية مُعَيَّنة أن تُقدّم أشياء من هذه؟ تفقد أشياء كثيرة جداً قد يكون في مقدمتها التأييد الإلهي بكله، الآخر يراك أنك: قومية تواجه قومية، جنس يواجه جنساً، لون يواجه لوناً، إقليم يواجه إقليماً، سينشد هناك ويقاوم باعتبار أنك ربما تريد أن تحتله، لكن القرآن هنا يذيب هذه المسألة تماماً: مسألة الإقليمية، مسألة القومية، مسألة وطنية، ويجعلها كلها لله، والإسلام هو لله، وقابل للكل، وهو جذاب فعلاً عند الكل فيما لو قدّم وحصل من يكونون فعلاً ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ (النساء: ١٣٥) كما في هذه الآية، يُقدّمونه بجاذبية عالية.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (المائدة: ١٠٠) ولاحظ في نفس الوقت أنه يُقدّم للمسلمين أنه يجب أن يكون لديهم التزامات بمبادئ مُعَيَّنة في صراعهم، تبدأ من داخل نفوسهم، ألا يكون لديهم تصور بأن هذا قد يتيح للعدو فرصاً، وأنه قد يؤدي إلى ضياع فرص، وأشياء من هذه، أبداً لا تحصل هذه، الله هو رقيب على الجميع، لا تتصور بأنه شيء أمرك الله به يُعتبر إضاعة فرصة لك، والأفضل أن تكون هكذا: مثلوناً، متقلباً، تغدر وتمكر وتخون؛ من أجل أن تتمكن من عدوك، في الأخير لا تنجح فعلاً بهذه الطريقة، ولو رأيت أنك نجحت في مرة أو مرتين، فعندما تلتزم - فعلاً - بالمبدئية التي قدّمها القرآن الكريم، حتى لو كنت تتصور أن هذا ربما قد يكون بالشكل الذي يتيح فرصة للآخر، أبداً لا يحصل هذا ﴿وَأَنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأَنْفَال: ٦٢) ألم يقل هكذا في آية أخرى ﴿وَأَنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ (الأَنْفَال: ٧١)؟

هذا لن يحصل، الشيء الذي قد يكون في الصراع، وقد مر في الحديث حول الأشهر الحرم ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ (البقرة: ١٩٤) هذا أيضاً تعتبره دليلاً على أنه عندما يكون هناك التزامات مُعَيَّنة - لكن عندما تكون قائمة على أسس صحيحة - وأنت في ميدان المواجهة، فئات لا تقتلها، أصحاب سن معين لا تقتلهم، أشياء مُعَيَّنة لا تقربها، لا تقل: (إذاً ماذا بقي لي؟! فلا نستطيع أن نضرب العدو نهائياً، وقد يتمكن العدو من أن يعمل كذا، فالأفضل أن نضربه بطريقة مُعَيَّنة؛ من أجل لا يتمكن).

افهم بأن التزامك بمبادئ الدين في ميدان المواجهة لن يضيعك الله أبداً ﴿وَأَنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾، ﴿وَأَنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ ماذا يعني؟ هو سيكفيك لا تخف،

لا تخف إلا من ماذا؟ من ألا تلتزم بهذه المبادئ في ميدان المواجهة؛ لأنها مبادئ مهمة في التأثير في نفسية العدو، قد تحصل أخطاء مثلاً عندما يكون الطرف الذي يمثل المؤمنين ليس طرفاً بمستوى أن يكون جديراً بأن يمثلهم فعلاً في موضوع مثلاً: إمّا دخول في هدنة، أو ميثاق، أو أي شيء معين، أمّا هذا فيجلب شراً فعلاً، مثلما كانت إسرائيل تعمل مع العرب، أليسوا يتقاتلون فترة ثم يدخلون في هدنة؟ لأن مسألة الهدنة، مسألة ميثاق، هذه الأشياء تقيّم، وتقيّم على اعتبارات متعددة، ومن جهة خاصة جديرة بأن تمثل المسلمين فعلاً عندما لم يكونوا جديرين بتمثيل هذه الأمة، أصبحت تلك الهدن كلها لصالح العدو فعلاً، هنا يلمح إلى هذه، وكما هو أسلوب القرآن الكريم، قد لا يكرر الشيء دائماً دائماً بطريقة موسعة، بل يشير لك إلى الموضوع.

هو يقول هنا: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ (المائدة: ١٠) هنا يقول لك: الطرف الآخر الذي قد تفكر أمامه عندما يقول لك: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنَ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ (المائدة: ٨) ثم تظل تفكر في الطرف الآخر، هو يقول لك: الطرف الآخر أمامنا، ننظر إليه، نراقبه، هم ﴿أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ أصحاب الجحيم يعني ماذا؟ هم خاسرون هنا، إذا ذكر لك بأنهم من أصحاب الجحيم فاعرف بأن تديبره معهم هنا تديبر يقوم على ألا ينجحوا، بل على أن يخسروا.

ثم جاء بمثال واضح: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ (المائدة: ١١) فلا تقل: (نحن عندما نلتزم قد نعطي فرصة للعدو، وقد، وقد يتمكن ثم... الخ) الله يقول هنا: ﴿إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ من حيث لا تشعر، وفي وقت لم تدخلوا بعد في التزامات قائمة على أساس توجيهه مع آخرين، فإذا هو كف أيديهم عنكم من حيث لا تشعر، أن يكف أيديهم عنكم؟ ألن يكونوا هم الخاسرين؟ ألن يحبط كيدهم عندما يفكرون أن يستغلوا فرصة معينة؟ بل ربما قد يدفعون إلى أن يظهر في الصورة ناقضين مثلاً.

مثلما تعامل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) معهم، ألم يكن أحياناً لا تدري إلا ونقضوا هم من هناك، ينبذ إليهم على سواء ويضربهم؟ لكن العرب عندما كانوا يدخلون في هدن، كانوا يدخلون في هدنة لم تقم على أساس تقييم صحيح، ثم في نفس الوقت لا يهتمون ببناء أنفسهم كما يهتم العدو ببناء نفسه، ينخدعون به وهو يعمل في بناء نفسه وظهر من جديد وضربهم، وليسوا قيادات جديرة فعلاً بكثير من هذه الأشياء التي وعد الله بها المؤمنين، لأن بعضهم قد لا يختلفون فعلاً عن قيادات العدو، هل هذا محط تأييد إلهي؟ بعضهم لا يختلف عن (شارون).

لاحظ كيف هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ لأن تذكر نعم الله لها أثر مستمر، وأثر هام في كل الظروف، وفي كل الوضعيات ﴿إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المائدة: ١١) لكن المؤمنون بما تعنيه الكلمة، والمؤمنون الذين بنيانهم ببيان صحيح على أساس قرآني. تجد هذه الآية أيضاً فيما يتعلق بنسف كثير من المفاهيم التي تقعد الناس، أو الرؤى القاصرة التي تؤدي بالناس إلى أن يقعدوا، أنها كلها ناتجة عن ضعف ثقة بالله سبحانه وتعالى، هو هنا يقول للمؤمنين: ﴿إِذْ هُمْ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ لأن الله هو مسيطر وراقيب ومهيمن على كل الناس، على نفوس وقلوب أوليائه وجنده، ونفوس أعدائه.

وفي الوقت الذي يُقَدَّم وعوداً عندما يقول: ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ (الحج: ٤) يُقَدَّم أمثلة عملية وقعت فعلاً ﴿هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ (المائدة: ١١) هذه تنسف الشعور الذي هو حاصل عند الناس، نقول: العدو... قالوا: (العدو إذا كذا... فيمكن أن يضربنا، لا تعملوا كذا؛ لأنه يمكن أن يضربنا ضربة قاضية) لا، إذا الناس يتحركون على أساس دين الله، على أساس هدي الله، ويثقون بالله وثوقاً عملياً، ويبتنون على أساس قرآني، فهذه هي سنة الله: أن ينصر أوليائه، وأن يكف أشياء كثيرة من جانب العدو قد لا يكون في طاقتك أنت، ولا إمكانياتك - سواء معدات عسكرية، أو إمكانيات أخرى - أن تدفعه. هو يكف يده عنك ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ (المائدة: ١١) لا يكن من عند الإنسان تقصير يقصر، يتراجع، يقعد لأنه يرى العدو كبيراً (ربما يحصل... وربما يضربنا، والأفضل أن نحافظ على أنفسنا، الأفضل أن نتحول إلى دعوة، دعوة هكذا نحافظ على الدين بشكل دعوة، لا نطلق بهذا الشكل فيضربونا فيقضوا على الإسلام) هذه كلها رؤى قاصرة، الله يقول: ﴿وَاعْلَىٰ اللَّهُ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المائدة: ١١).

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ

وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَأَمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢٠﴾ (المائدة: ١٢٠) وسيأتي كلام من بعد عن بني إسرائيل، يُقدِّم هنا بأن ما وقعوا فيه لم يكن بسبب تقصير من جهته سبحانه وتعالى، بل المسألة وصلت إلى درجة أن يأخذ ميثاقاً عليهم والتزاماً بما عهد به إليهم، ووعد من جانبه سبحانه وتعالى إلى أن قال في الأخير: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾.

ثم يُبيِّن بأن أعداءه، أعداء أوليائه معلومون لديه، يَعْلَمُهُمْ، وفي نفس الوقت هم في موقع أن يعاقبهم مثلما جاء بعد: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (المائدة: ١٣).

هذه فيها عبرة لنا، عبرة للمسلمين بشكل عام بأن عليهم أن يأخذوا بهدي الله بقوة كما قال مع بني إسرائيل ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ (الأعراف: ١٧١) لأن ما أخذه على بني إسرائيل هو أخذه على الناس، وإلا فقد تكون النتيجة هكذا: هم عندما نقضوا ميثاقهم كما قال: ﴿لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ (المائدة: ١٣) لم يعودوا يتأثرون بشيء مما يسمعونها مهما فهموا، مهما تجلى لهم؛ لأنه عندما يوجه الناس إلى أن يكونوا ملتزمين - في صراعهم مع الآخر - بالمبادئ التي وجههم إليها، مبادئ قرآنية، وليست أفكاراً أخرى، أو مبادئ يأخذونها من عند آخرين، أو من داخل مواثيق أخرى يصنعها آخرون، بل مبادئ قرآنية، أنه أيضاً هو يَعْلَمُ الآخرين تماماً، يعرف بأنهم هكذا: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

لاحظ هنا تلمس الفارق الكبير بين موضوع: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ سابقاً، وبين ما يُقدِّم، المرحلة التي الناس فيها ليست مرحلة: فاعف عنهم واصفح، قد لا يقال إلا للقوي: يعفو عن طرف آخر، ولا يقال للقوي وعلى أساس أنه يترك الموضوع، بل يتحرك، يبني أمة، يواجه أعداء شرسين في نفس المرحلة أكثر من هؤلاء شراسة في الميدان، معناه: لا ينشغل هؤلاء، سيضربهم على هامش مسيرته.

ثم تجد في نفس الوقت، وهذا من عظمة الإسلام: أن أعداءه لا يستطيعون - على الإطلاق - أن يؤثروا على الناس إذا كانوا ملتزمين به، ألم يقل: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ هل أدى عفوه وصفحته عنهم إلى أنهم تمكنوا وضربوه؟ لا، لم يحصل، أليس كذلك؟ لأن من تَبَنَّى (فاعف واصفح) قائد على مستوى عالٍ جداً: رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا يأتي مثل الآن يُقدِّم لك وسطية، وعفو وصفح، وأشياء من هذه على أساس: اسكت واقعد، ولا حركة أمامهم.

كلمة ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ ليس معناها اتركهم ولا تتعرض لهم ولا شيء، قد يكون أمام قضية واحدة، أمام قضايا مُعَيَّنَةٍ، وهو في مسيرة عملية، مواجه أعداء شرسين في الميدان، من هم الذين كان ينزل إليهم في الميدان في أكثر تلك الفترة؟ ألم يكونوا هم المشركين؟ اليهود كانوا يتآمرون وهكذا لا يجروون أن يبرزوا في الميدان.

هذه الآية أيضاً من الآيات التي يُحَرِّفُ معناها الآن، عندما يقول: ﴿فَاعْفُ﴾ أليس هذا خطاباً للنبي (صلى الله عليه وسلم)؟ ﴿وَاصْفَحْ﴾ هو يعرف، هذا المنطق ليس منطقاً مبنياً على قواعد (أصول فقه) بل منطق مبنى على تقييم وضعية، هو يفهم هذا الطرف نفسه (بني إسرائيل) في تلك المرحلة، ويفهم بأنه يواجه عدواً أكبر منهم، عدواً أخطر منهم في نفس الوقت؛ لاعتبارات أخرى، هم خطيرون في موضوع المؤامرات، وأشياء من هذه، لكن كان في تلك المرحلة الذي يمثل خطورة واقعية، والذي يجعل لمؤامرات بني إسرائيل فاعلية هم الطرف الآخر، المشركون، وهؤلاء ضربهم على الطريق فعلاً، عندما برز من عندهم (خيانات) ضربهم، وتجد أن ضربتهم فعلاً كانت على هامش حركته ومواجهته للآخرين.

هنا قد صاروا يخاطبون الناس: (فاعفوا) وهي هنا ﴿فَاعْفُ﴾ موجهة للنبي (صلى الله عليه وسلم) صاحب القرار في القضية العارف للوضع، والعارف للناس، والعارف أنها لا تعني - مثلما يقدمونها الآن - اسكت منهم، ولا تتكلم معهم، واقبلهم إلى آخر ما يُقدِّم الآن. مرحلة مُعَيَّنَةٍ ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾ ويمكن أن تضربهم بعد، لا تنشغل بهم عن قضايا هي أهم، عن عدو هو أخطر في نفس الوقت، بحسب تلك الوضعية، ونوعية الصراع في ذلك الزمن، أما الآن فإنه يُقدِّم للناس أن يعفوا ويصفحوا ويقبلوا، ولا يعملوا أي شيء نهائياً! أول شيء أن هذه

الكلمة لا يصح أن تقال للعرب الآن، لا يقال: (اعف) إلا للقوي، لا يقال للمظلوم المسكين: اعف عن فلان، إنما يقال (اعف واصفح) لمن هو مقتدر، هل العرب الآن في وضعية قوة والآخرين هم المستضعفون وإنما يأتي من عندهم مؤامرات بسيطة وأذية مُعَيَّنة نقول نعضو عنهم، لا يمثلون شيئاً، ممكن أن تضربوهم من بعد؟ لا، معناه اعف عن هؤلاء الطغاة الظالمين المتجهين لهذه الأمة لطمسها تماماً، هذا من تحريف الكلم عن مواضعه.

ثم تجد فعلاً بالنسبة لبني إسرائيل حصل عفو، حصل صفح في مراحل، وكانوا في نفس الوقت لا يقدرّون هذا للنبي (صلى الله عليه وسلم) مع أنه شخص يثقون به، إنسان مبدئي وملتزم، ليس إنساناً عدوانياً - كما يقولون - إنساناً متوحشاً، بل هو إنسان صاحب قيم ومبادئ وحريص عليهم أن يهتدوا، وهم يعرفون هذا عنه، ومع هذا لم يقدرّوا لعفوه وصفحه قدره، فذهبوا يتأمرّون عليه، عندما تأمروا عليه في الأخير استطاع أن يضربهم نهائياً، ويكون فعلاً ليس هناك أي مبرر لديهم على الإطلاق أن يقولوا: ظلمهم، أو يقولوا: اعتدى عليهم، أبداً، هم الذين لم يقدرّوا عفوه ولا صفحه، وتأمروا عليه، ونصروا أعداءه إلى درجة أنهم قالوا لهم: أنتم أهدى من محمد، وهم مشركون، وهم يعرفون أنهم كاذبون ومفترون على الله عندما يقولون لهم هذا القول، مثلما تقدّم في الآيات السابقة.

فإذا وجدت بأنه لم ينفع معهم عفو محمد (صلى الله عليه وسلم) وصفحه، فلن ينفع معهم ما يُقدّم الناس من تنازلات، إذا لم ينفع عفوه عنهم وهم في وقت كانوا مستضعفين، لا يمثلون قوة كبيرة، هل يمكن أن ينفع أمامهم الآن تنازلات وهم قوة جبارة؟ هل يمكن أن يُقبل؟ لا يُقبل.

ثم من يتحدثون مع الناس على أساس أن يعفوا ويصفحوا ويعتدلوا ويقبلوا ووسطية وأشياء من هذه، هل ترى لديهم عملاً آخر لبناء الأمة فيبدو أمامك وكأنها مرحلة فقط، وتعامل مع مرحلة بشكل معيّن، وسنضربهم من بعد؟ هل يعملون هذه؟ أبداً ولا حركة، أي: نحن فاهمون الأشياء التي يتطلبها الصراع الآن مع اليهود، قلنا إننا لا نلمس في الساحة على الإطلاق أي عمل تقول بأن هذا فعلاً يؤشر على أن هناك بناء من جانب هذه الدولة أو هذه داخل البلاد العربية لتبني أمتها، وتبني شعبها، وجيشها؛ لتضرب ذلك العدو، ربما قد تكون سوريا باعتبارها دولة لا تزال في حالة حرب مع إسرائيل، حصل بناء عسكري من أيام (حافظ الأسد) ولا ندري كيف واقعها الآن، لكن هنا مثلاً في اليمن هل نلمس شيئاً؟ هل يلمس أحد مراكز تدريب - مثلاً - تدريب الشباب؟ هل تلمس اهتماماً بالزراعة؟ هل تلمس اهتماماً بالاقتصاد بشكل عام؟ هل تلمس مثلاً حركة هناك من قبل المرشدين لتوجيه الناس إلى أن يكونوا مستعدين للجهاد، فنقول: إنما فقط الإعلام يقول هكذا: وسطية، وأشياء من هذه، وهم يتحركون من تحت؟ هذا لا يوجد، أي: أنه منطلق من يثقف الأمة ألا يكون لها موقف نهائياً، تقبل بهذا العدو وأن يدوسها، وينهياها.

بل تجد أن هناك تضليلاً للناس باسم كتاب الله، هذه جريمة كبيرة عند الله، قد يكون لها أثر كبير في أن يسلب عليهم لهذه في حد ذاتها ناهيك عن الأشياء الأخرى، هنا يبيّن بأنهم أمة ليس لديها التزامات، لم يفوا مع الله سبحانه وتعالى، لم يفوا معه، ألم يقل هنا: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ (المائدة: ١٢) كأنهم ككفلاء، أو ملتزمين على من وراءهم، أخذ ميثاق، ولكن لم يلتزموا؛ فلعنهم، معنى هذا في الأخير ماذا؟ ألم يقل: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ﴾؟ هل المعنى هؤلاء ناس هم هكذا سيئون، وهم، وهم... إلخ، لكن لا تنشغل بهم، ولا تعد نفسك لمواجهتهم في يوم من الأيام، ولا... إلخ؟ لن يكون هذا توجيهاً حكيماً، بل على الرغم من هذا وهم في تلك المرحلة منظورون، أي: هم تحت المراقبة، وتحت التقييم، ويتعامل معهم بحذر، ومنشغل بعدو أخطر منهم في الساحة، وهم في وضعية متى ما حصل منهم أي مؤامرة ظهرت سيضربهم، وهذا الذي حصل.

هم ليسوا على الإطلاق في أي زمن من الأزمنة إلى درجة أن تثق بمواثيق معهم نهائياً، من واجب العرب لو أن إسرائيل هي التي تقدّم طلبات ومبادرات شبيهة بالتي تقدّمها العرب ألا يثقوا بهم، وأن يكونوا مُعدّين أنفسهم في يوم من الأيام أن يضربوهم ما بالك إذا كان العكس هم الذين يقدمون مبادرات، تنازلات، استسلاماً، وهي في نفس الوقت وهي ترفض لا يُعدّون أنفسهم لمواجهتهم.

﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ (المائدة: ١٤) إذا فكل هذه الأطراف هي في وضعية فيها - مثلما نقول أكثر من مرة عندما نمر بآيات من هذا النوع - نقاط ضعف خطيرة، هؤلاء ملعونون لعنهم الله ﴿فَبِمَا نَقِضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾ (المائدة: ١٣)

واللعنة عليهم معناها ماذا؟ لها آثارها السيئة بالنسبة لهم، وبالنسبة لهؤلاء، وقد تعود إلى الكل ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ أي: وهم أيضاً لم يحصل منهم التزام ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ أليست هذه نقطة ضعف كبيرة فيهم؟ ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ (المائدة: ١٤) وهذه هي القضية الخطيرة؛ لأنه في هذه الدنيا مهما حصل من مؤاخذة، من معاقبة، مهما حصل من أشياء، فليست شيئاً بالنسبة للأشياء المرصودة في الآخرة ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ماذا تعني هذه؟ أليست توحى بأنه سيبقى منهم أناس إلى يوم القيامة، الأحاديث التي تقول: إن المسيح سينزل وسيُسلم كل النصرى، غير صحيحة؛ لأنه هنا في عدة آيات تبين بأنه سيبقى منهم حتى في ظهور الإسلام، سيبقى أقليات لكن بشكل غير ظاهرين هكذا، أو في بلدان لا يُعتبرون ظاهرين مثلما هم الآن ولا حول الآن ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ هذه لا تزال قائمة فعلاً، وتجد لها آثارها فعلاً الآن، نقول: ربما تخفيف ما كان يمكن أن يحصل منهم لو أنهم فعلاً متآلفون، لكن يتحرك حزب والحزب الآخر يحاول أن ينقده، ويحاول أن يُقدّم سياسته خطأً، من أجل أن يفوز في الانتخابات بدلاً عنه، عندما يقتل أمريكيون، الحزب الآخر يحاول أن يستثير أهالي القتلى، والحزب الحاكم يحاول أن يتفادى ألا يحصل قتلى لأن هذا سيؤثر عليه، ماذا حصل في الأخير؟ هذه نقطة ضعف كبيرة بالنسبة لهم، لو كنت في مواجهة أمة وليست بهذا الشكل لكانت خطيرة جداً.

ومع هذا تجد حكومات العرب نفسها الذين يوجد لديهم أموال هائلة جداً، وليس السبب أنهم ممن يتورعون ألا يدخل في محظور أو يدخل في شبهة، ألم يكن المفروض عندما يعرفون بأن هذه أمة - بالنسبة لليهود والنصرى - داخلهم عداوات وبغضاء، أن بإمكانهم أن يتغلغلوا داخلهم، فيشتروا منهم أناساً بأموالهم، ويحركوهم ضد آخرين؟ ألم يكن هذا بالإمكان؟ أي: أنهم لم يستطيعوا أن يتحركوا ولا حتى بأموالهم!

تجد الآخرين (بني إسرائيل، اليهود والنصرى) هم الذين يتغلغلون داخل المسلمين! لا نقول: لأن هؤلاء هم مبدئيون، والأفهي قضية قد تكون غير صحيحة على ما يمكن أن يفكر فيها كثير من حكام العرب الآن، لكن لم يصلوا ولا حتى إلى هذه الدرجة: أن يتحركوا بأموالهم، يوجد داخل أمريكا (لوبي) يسمونه: (لوبي صهيوني) اليهود عارفون بأن بإمكانهم أن يتغلغلوا داخل الإدارة الأمريكية، وداخل المجتمع الأمريكي، هل يوجد لوبي إسلامي، أو لوبي عربي - مثلما يقولون - يحاول أن يصل هناك إلى درجة التأثير في القرار الأمريكي؟ لا يوجد، وإنما يأكلون أموالهم هكذا، ويظلمونهم في نفس الوقت، ثروات هنا يستنزفونها، والأرصدة التي هناك مبالغ كبيرة جداً، أي: أنهم لم يستطيعوا أن يتحركوا ضدهم لا باسم دين ولا حتى وفق ما يعمل الناس الذين لا يوجد لديهم التزامات في حالة الصراع نهائياً!

يقولون: في إسرائيل نفسها إن بالإمكان استخدام يهود، يأتي أحد من الفلسطينيين الذين يحاولون الدخول ليُفجروا أماكن معينة يستطيع أن يعطي بعض اليهود مبلغاً ويدخل له هذه العبوة الناسفة من نقاط معينة (فلوس) ليس بينهم ألفة حتى تقول: هذا مجتمع متآلف، لكن خذيلة بكل المقاييس، خذل حكام العرب بكل المقاييس من كل جهة.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ...﴾ إلى آخر الآيات، هنا في بداية الآية يُبين لنا أن أهل الكتاب - فعلاً - كانت هذه الطريقة عندهم: يُخفون أشياء كثيرة من الكتاب، عندما يقول: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ (المائدة: ١٥) رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لم يطلع على التوراة والإنجيل، إنما من خلال هذا القرآن نفسه؛ لأن هذا القرآن نفسه يُقدّم أشياء كثيرة مما هي عند بني إسرائيل، قد حرفوها، أو أخفوها، يُبينها، ويظهرها، ويفضحهم في نفس الوقت، فهذه تُعتبر - إذا كانوا يفهمون وما زال ممكناً أن ينفع فيهم آية - تُعتبر آية من الآيات لديهم: أنه إنسان لم يقرأ كتبهم، لم يقرأ، لا يستطيع أن يقرأ خطأً عربياً فما بالك بخط عبراني، وفعلاً لم يتجه إلى هذه الطريقة، وفي نفس الوقت يأتي على يديه - من خلال هذا الكتاب العظيم - ما يكشف حقائق هم يعرفونها، أليس في هذا ما يدل - إذا ما زال بالإمكان أن تنفع فيهم الآيات - أن هذا من عند الله؛ ليعودوا إلى الله سبحانه وتعالى، ويؤمنوا به؟ ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ هناك كثير لم يتعرّض لها ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (المائدة: ١٥) وهم يعرفون هم الكتب السماوية (الكتب الإلهية) كيف تكون، كيف يكون أسلوبها، ومنطقها، والقضايا التي تتناولها.

﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ إذا كنتم تفكرون في السلام للبشر جميعاً هو يهدي الناس إلى سبل السلام، لكن كل من سار على هذه الطريقة: من اتبعوا رضوان الله ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (المائدة: ١٦).

على الرغم من أن هذه الآية تبدو موجهة إلى أهل الكتاب، أليس كذلك؟ تجد العرب أنفسهم لم يلتفتوا إليها، وكان المفروض بالنسبة للعرب، بالنسبة لمن هم مؤمنون، أنها قضية ثابتة لديهم: أن القرآن الكريم هو الذي يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، وهم يبحثون عن السلام من كم سنين، أليسوا يبحثون عن السلام؟ لكن بطريقة خاطئة يبحثون عن السلام عند العدو، يقدمون تنازلات، يقدمون استسلامات، ويقدمون أشياء مذلة تذلهم وتذل شعوبهم. وفي الوقت الذي يخاطب بني إسرائيل بأن هذا الكتاب هو من يجب أن تعودوا إليه لتهدتوا إلى سبل السلام، ولأن السلام عادة هو مطلب للبشر، إذا أنت ترى حكومة مُعَيَّنة مثل حكومة إسرائيل مثلاً تجد أنه قد يكون هناك مواطنون عاديون يكونون مهتمين بأشيانهم اليومية يتمنون ألا تحصل حروب ولا شيء، لكن السياسة نفوسهم عارفون أنه لا بُد أن تكون الوضعية على هذا النحو.

إذاً هو يخاطبهم على أساس أن القرآن يخاطب البشر جميعاً، لا يخاطب فقط الفئات الحاكمة، يخاطب البشر جميعاً، بل يُعطي أهمية للشعوب بأنها التي هي مظنة أن تستجيب، واستجابتها مؤثرة، والتأثير عليها مؤثر أيضاً، يقول لهم هذا نفسه: أن يعودوا هم إلى هذا القرآن؛ ليحصلوا على السلام. تجد العرب بالمقلوب: يذهبون هم إلى بني إسرائيل يبحثون عن السلام في الوقت الذي هم أعداء واضحة عداوتهم، ويبحثون هناك عندهم عن السلام، ويتركون الكتاب، مع أن أهل الكتاب هم دُعوا إلى هذا القرآن ليؤمنوا به، ويهدتوا به، ليهدتوا إلى سبل السلام.

ومعنى هذا أنه فيما يتعلق بالمؤمنين وبأعدائهم من بني إسرائيل بأن السلام كله يقوم على أساس هذا، نحن نريد سلاماً، وأنتم تريدون سلاماً، تعالوا هنا: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾ (المائدة: ١٥، ١٦) هذا سيحقق سلاماً لنا ولكم وبدون تلاعب، وبدون تعب، نرجع إليه، جميعاً، ونؤمن به جميعاً، وننطلق جميعاً على أساس هداة؛ ليتحقق السلام.

﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ تجد في هذا طريقة من الناحية المنهجية، يعرف الإنسان أن أشياء كهذه هي عادة مطالب للبشر، كيفما كانوا، أي: الآن في نفوسنا أليس عندنا صورة مثلاً عن أوروبا وعن أمريكا هي الصورة التي نراها، صورة الحكومات؟ أليس كذلك؟ حكومات تسوق الشعوب نفسها، قد تكون تسوقها بضغط، أو تسوقها بإغراءات، وإعلام مُضلل، حول موضوع سلام، ونور وهدى بالنسبة لهم، أي: يقدمون كل الأشياء لديهم، يعتمدون جداً على وسائل الإعلام؛ للتضليل على الناس، والتضليل يتم على هذه الطريقة: أن السياسة التي تتبناها مثلاً حكومة إسرائيل، أو حكومة أمريكا، أو أي دولة أخرى أنها من أجل تحقيق السلام للشعب الفلاني: الأمريكي أو... هم يقولون هكذا: محاربة الإرهاب هنا تحقيق سلام للأمريكيين، وأمن وحفاظ على مصالح أمريكا، وأشياء من هذه، أي: طريقة تُعتبر هدى، يزعمون أنهم يهدون إلى طريقة هي في مصلحة الناس، وخير للناس.

إذاً هذا مطلب أساساً هو مطلب للبشر جميعاً، ولأن أكبر نسبة من البشر هم عادة مواطنون من الذين يسمونهم مواطنين عاديين يهمهم سلام، يهمهم هدى، يهمهم حق، مطالب أساسية لديهم، معنى هذا بأنه عندما يوجه هذا الخطاب إليهم هو يخاطب فطرة لدى شعوب هم لا يزالون أناساً، تقول له بأن ما عندك هو سلام، وعندك نور، وعندك هدى إلى صراط مستقيم؛ لأن الذي يضل هناك هو يستخدم طريقة كهذه كعناوين وتحتها ضلال، تحتها ضياع لهم كشعوب، قل لهم: السلام هو هذا، أن تتبع جميعاً كتاب الله، ونؤمن بالقرآن، ونؤمن جميعاً بمحمد (صلى الله عليه وسلم) (الله عليه وسلم) ونُدخل في السلم كافة، وتُحقق السلام، ويتحقق للناس خروج من الظلمات إلى النور، ويهدتوا إلى صراط مستقيم في حياتهم كلها.

لاحظوا هذه الدعوة ما أعلاها! أليست تُعتبر عالية جداً؟ هل يمكن لأحد من العرب أن يقول بها الآن، أو حتى مجموعة الدول العربية في قمة مُعَيَّنة؟ هل يمكن أن يُخاطبوا بهذه؟ في وقت لديهم إمكانات هائلة من الناحية المادية، لديهم جيوش كثيرة، لديهم عتاد عسكري كبير، لديهم منطقة واحدة: موقعها الجغرافي واحد، وشعوب متقاربة مختلطة، ومع هذا لا يجروون على أن يُخاطبوا بني إسرائيل بما خاطبهم به محمد (صلى الله عليه وسلم) في ذلك الزمن، عندما يخاطبهم فإنه خطاب ممتد وليس فقط يُخاطب مجموعة يهود في

ضواحي المدينة، بل خطاب لأهل الكتاب بشكل عام؛ لأن هذا الكلام جاء بعد الحديث عن اليهود والحديث عن النصارى، وكان النصارى أكثر ما يكون تواجدهم ربما في شمال الجزيرة وفي داخل بلاد الروم التي كانت تسمى ذلك الزمن (بلاد الروم) أليست دعوة جاءت من محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي لم يكن يمتلك ربما كقدرات محافظ من محافظي اليمن فما بالك بدولة؟ قدرات محافظ واعتماد محافظة ومعسكرات محافظة، وأشياء من هذه، ودعوة على مستوى عالٍ: أنكم إذا كنتم تريدون السلام فتعالوا إلى هنا، هذا هو السلام، وهذا هو الذي يخرجكم من الظلمات إلى النور، وبه تهتدون إلى صراط مستقيم.

والقرآن الكريم في رؤيته للسلام تختلف - تماماً - عن رؤية العرب التي تقوم عليها مبادراتهم للسلام، رؤيته: بناء أمة، روح جهادية، هنا يصبح العدو نفسه إذا كان يريد سلاماً فليعد إلى هذا الدين وسيتحقق له السلام، أي: أليس يقول هنا: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾؟ كيف يذكر عن اتبعوا رضوانه؟ أليس يذكر ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٠٧) ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ (البقرة: ٢٦٥)؟ يذكر الإنفاق في سبيل الله، وبناء أمة، جهاد، توعية لبناء أمة.

الطرف الآخر (الأمريكيون أنفسهم) هم لديهم هذه الفكرة: بأنك لا تحصل على السلام إلا عندما تبني نفسك، وتصل إلى مواقع قوة، فعندما تدخل في مفاوضات فلن تكون أنت بالشكل الذي تهضم في هذه المفاوضات، أو الطرف الآخر هو الذي سيستسلم أمامك ويتحقق لك السلام، أليس هذا عندهم الآن؟ هم يرون الآن أن القوة هي التي ستحقق لهم السلام. موقف العرب الآن هو موقف استسلام وضعف وذلة، ودائماً يقدمون مبادرات سلام وهم في حالة ضعف فما قبلت. الأمة بأمس الحاجة إلى أن تعود للرؤية القرآنية، وخاصة أن هناك توجهاً إلى أن يُزاح هذا الجنس البشري من هذه المنطقة، يزاخون، مثلما أزاحوا الهنود الحمر في أمريكا.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المائدة: ١٧) يبيّن لك هذا الطرف نفسه سواء عندما يدعو - مثلاً - أليسوا يقولون: الإسلام دين السماحة الآن، ودين السلام، ودين التسامح، وشرعية سمحة؟ أليس كذلك؟ لكن كلها يقدمونها على أساس وكأن هذا الإسلام يجيز الاستسلام، ويجيز القبول بالآخر على ما هو عليه، لماذا؟ لأنه لا يوجد عندهم نظرة بالنسبة للطرف الآخر، وفق النظرة التي تكررت في القرآن، وموجودة بشكل كبير، يعطيك صورة عن الطرف الآخر أنه مغضوب عليه، أنه مضروب، أنه في وضعية سيئة.

أنت عندما تقول لك هنا موضوع سلام فلا يحصل عندك رؤية مغلوطة، افهم أن هذه هي دعوة إلى السلام، أليست هذه هي دعوة إلى السلام؟ لكن على أساس ماذا؟ أن تتبع رضوان الله جميعاً، أن تتبع هذا الهدى وهذا النور لنهتدي به إلى سبل السلام جميعاً، أليست هذه هي دعوة السلام في الإسلام؟ وفي نفس الوقت لا تأت لتأخذ منها ما تضي به شرعية على مبادراتهم، وهي مبادرات استسلام، وعلى منطلق هو منطلق استسلام؛ لأنك ترى ذلك العدو كبيراً، هنا يبيّن لك العدو دائماً يبيّن أنه في وضعية سيئة، وضعية ضعف، هو مضروب لكونه عدواً لله، لكن لأن الله لم يعد في الذهنية عند العرب، وعند زعمائهم، لا يتذكرون بأنها نقطة ضعف في ذلك الطرف كونه عدواً لله؛ لأن الله قوة جبارة، ومن هم أعداء له هو يضربهم، ويكيد لهم ليضربهم، وسيخذلهم أمام أوليائه، لا يحسبون هذه على الإطلاق! مع أنها من الناحية السياسية في هذه الحياة قضية معمول بها لديهم، إذا كان هناك - مثلاً - دولة معادية لدولة أخرى، ووجدت دولة أخرى أكبر منها قامت تعادي تلك الدولة التي تعادياها، أليست ترى أنها في واقع ضعف يمكنها من أن تضربها مثلاً مع تلك الدولة الكبرى، أو على الأقل تضطهدها بأي طريقة كانت؟

الله منسوف عندهم تماماً، لم يعد في الذهنية يشكّل قوة في مواجهة أعدائهم، فنرى أعداءنا في موقع ضعف؛ لأنهم في مواجهة قوة جبارة لا تقهر هو الله، هذه منسوفة في الذهنية، مع أنه هنا في القرآن يعرضها دائماً بشكل متكرر.

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المائدة: ١٧) هذا بالنسبة لمن؟ للنصارى أليس كذلك؟

يذكر أيضاً اليهود: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ

مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ (المائدة: ١٨)

ألم يذكر الآن أعداء الأمة الرئيسيين أنهم هكذا في واقع ضعف، وذكر أنه سبحانه وتعالى له ملك السموات والأرض وهو على كل شيء قدير، وأن إليه المصير؟ ومع هذا لم ينفذ في العرب! مثلما ترى في بني إسرائيل لم ينفذ، لم ينفذ، يأتي بصورة عن بني إسرائيل بما فيها أنه لم ينفذ معهم لا أنبياء ولا آيات ولا غيرها. ونفس الشيء أصبح العرب فعلاً وبالذات معظم الحكومات التي تحكمهم بهذا الشكل، بل ربما تصل هذه الحالة إلى حملة الدين نفسه فما بالك بالآخرين ﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ﴾ (المائدة: ١٩) هنا يخلط بين التهديد، والتذكير بسوء ما هم عليه، وفضاعة ما يقولونه على الله سبحانه وتعالى، يفترون عليه، ثم أيضاً يأتي بآيات فيها دعوة لهم أن يعودوا إلى الحق، هذه قضية أساسية في منهج الناس في التعامل معهم، أحياناً قد ترى بأنه هنا يتحدث عن بني إسرائيل، بل يدعوهم إلى أن يعودوا إلى السلام، فتأخذ منها بأنه إذاً هو يفتح لنا الباب أننا نتسالم معهم، وتتقارب معهم، وأشياء من هذه، لا، إن القضية هنا تقوم على أساس أن عندك مسؤولية، وعندك مهمة كبيرة أنك تدعوهم إليك، تدعوهم إلى الطريقة التي أنت عليها، لا أن تتبعهم، وتقول: (هنا قد سمح لنا أن ندخل في سلام معهم، ونتبعهم، وأشياء من هذه) ثم يقدم قبولاً لكل ما يملونه عليه من شروط، فهنا يذكر بماذا؟ بموقعك، يذكر هذه الأمة بموقعها، بالموقف الذي يجب أن تكون عليه: أن تدعوهم، هم الذين يأتون إلى هنا ليتبعوا الهدى الذي نحن عليه.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لاحظ هل هذا المنطق هو قائم الآن؟ منطلق أن يبقى الناس متذكرين لموقعهم أنه موقع مسؤولية أن يقولوا للآخرين: أنتم تعالوا إلى ما نحن عليه، هل لا يزال هذا المنطق قائماً؟ لا يوجد، هم يأخذون من الآيات: ﴿سُبُلَ السَّلَامِ﴾ والإسلام هو دين السلام والتسامح، وأشياء من هذه؛ ليتبعوهم هناك، ويقبلوا ما يملون عليهم من شروط ناسين - تماماً - هذه المهمة التي تذكرك بأنك هنا أنت صاحب مهمة ومسؤولية وموقع ثابت. ادعهم هم أن يرجعوا إليك وإلى ما أنت عليه، هذه نُسِيت تماماً.

تجدها متكررة مع أن الناس لديهم ممارسة من هذا النوع، دعوة، وفي نفس الوقت لها أهميتها بأن تتذكر موقعك، تتذكر كيف يجب أن يكون تعاملك معهم: أنك أنت تدعوهم إلى أن يسيروا إليك، ويؤمنوا بما أنت عليه كما قال في آية سابقة: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ (البقرة: ١٣٧).

ولاحظ كيف خواتم هذه الآيات: ﴿وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ (المائدة: ١٨) وفي آخر الآية الثانية: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المائدة: ١٩) هذه لم يعد يلتفت إليها بشكل يعطي ثقة، عندما تقيم كل مواقف الناس في مواجهة بني إسرائيل اليوم، أي: الحكومات، وكثير من المثقفين، والأحزاب، هذه كلها كأن الله ليس شيئاً، كأنه ليس موجوداً، وكأنه ليس له أثر في الذهنية نهائياً: أنه ملك السموات والأرض، وله ملك السموات والأرض، معنى ملك ليس فقط أن أصلها له وقد صار مغلوباً على أمره! بل هو المدبر لشؤونها، وهو على كل شيء قدير.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أذكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ * يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ (المائدة: ٢٠-٢٢) أليس هنا يبين لنا أيضاً واقعهم (ضعفهم) على الرغم من أنهم تحت قيادة عالية (موسى) ﷺ؟ فهل لديهم في قياداتهم قيادة عالية كموسى؟ لا يوجد عندهم. قالوا هناك: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ هنا يستوحى من هذه بأنهم هم نفوس ضعيفة سواء الجيل الأول منهم لِمَا كانوا عليه في مصر من اضطهاد وأشياء من هذه، أو أجيالاً متأخرة لانصرافهم عن هدى الله حتى ضربت عليهم الذلة والمسكنة، وكانت تأتي - ممن كان لا يزال مستقيماً منهم - مواقف قوية، الفئات التي هي مستقيمة منهم مثلما قال في آية سابقة: ﴿لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (النساء: ١٦٤) لو كانت تلك النوعية موجودة لكانوا مؤمنين.

إذاً لديهم فئة قوية فعلاً غير موجودة، أمّا تلك الفئة القوية التي كانت مستقيمة لو أنها لا تزال موجودة أو هناك من يمكن أن يكون منها لأسلموا من أول يوم؛ إذاً فلم يبق إلا فئات واقعهم ضعف على هذا النحو، ضعيف

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ (المائدة: ٢٤)
 أليس هذا رأياً اعتبروه حكيماً عندهم؟ كأن لهم الفضل أيضاً أن يدخلوا ﴿فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ مستعدون أن ندخل إذا خرجوا منها! معناه (أبشّرُ بنا ندخل إذا لم يعد فيها أحد)! ليعرف الواحد أن واقع الناس قد يكون فعلاً هكذا إذا كانوا مبتعدين عن هدى الله، وفعلاً هناك حالة قائمة لدينا من هذه لو تأتي نقيمتها، أي: هناك فكرة بالنسبة للعمل معناها في الأخير أنه: إذا لم يعد هناك أعداء فمستعدون أن نجاهد في سبيل الله، إذا لم يعد خائفاً فهو مستعد أن يتحرك في سبيل الله، أليس كذلك؟ بنفس الطريقة: ﴿فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾.

ويبدو أن هذا القرار حصل من عند الأغلبية الساحقة فيهم فعلاً ما بقي إلا موسى وهارون ورجلان قدما هذا المقترح الجميل: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ يخافون العواقب ويخافون الله ﴿أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ قَدَمُوا لَهُمْ خُطَّةً: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (المائدة: ٢٣) هذه نوعية ممتازة، لكن لم يكونا إلا رجلين فقط.

هذه ذكرناها سابقاً في حديث يكون فيها إجابة على من يأتي يقول لك: (لكن بقي فلان، وفلان، وفلان، لا يقولون هكذا، ولم يتحركوا) لاحظ هنا بني إسرائيل أليس قد يكون فيهم عبّاد في هذه الفترة؟ لديهم علماء بما قد حصل من علم، علماء وعبّاد وإذا هم مع أصحاب القرار الآخر الذين قالوا: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ ﴿قَالَ رَجُلَانِ﴾ ألم يثن هنا على موقف رجلين واعتبرها خطة حكيمه؟ هل التفت إلى باقي عبّاد وعلماء آخرين من بني إسرائيل؟ إذا كنت هنا تحسب علماء وعبّاداً فهم بالتأكيد في الصف الثاني: صف قرار الرفض ﴿فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾.

﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا﴾ (المائدة: ٢٤) ماذا يعني هذا؟ هذا جبن إلى آخر درجة، ومن العجيب أنهم يقولون هكذا مع أن قائدهم موسى، ويعرفون موسى كيف كانت قوته في مصر في مواجهة الفراعنة عند فرعون وهامان وجنودهم، منطقته قوي، يدخل عليهم إلى قصورهم ويعظّمهم ويبيّن لهم آيات الله ويدعوهم إلى عبادة الله، فهو إنسان قوي، والقائد يكون عليه اعتماد كبير جداً. ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَفَاتِلَا﴾ هذه عبارة سيئة ﴿فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ (المائدة: ٢٤) هذا رفض نهائي، اذهب أنت وربك قاتلا!

هكذا تجد الناس الذين لا يذكرون نعمة الله، ألم يُذكّرهم في البداية بنعمة الله عليهم؟ فممكّن أن تقيس الأمور على بعضها بعض بالنسبة لنعم الله فلا تتصور بأنه فقط سيقدم لك خبزاً وماء وأشياء من هذه وينسى التأييد في القضايا الهامة الأخرى، هم لم يحصل عندهم تذكّر لنعمة الله فيحبوا الله ويستجيبوا لله ويضحوا في سبيله، مع أن العبارة التي قالها موسى هنا عندما يقول: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (المائدة: ٢١) أليست تعطي مؤشراً بأنهم سيغلبون؟ لأن معنى كتب لهم أنهم سيأخذونها؛ إذا معناه أنهم سيقهرون الآخرين، أليس هذا شيئاً واضحاً؟

إذا نحن المسلمين لدينا من هذا النوع: آيات كثيرة لكن نفسية بني إسرائيل: ﴿لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ ووصلنا فعلاً إلى ﴿ادْهَبْ أَنْتَ وَرَبِّكَ فَفَاتِلَا﴾ قاعد يعتزل ويقول: (اللهم دمرهم، دمرهم، اعمل كذا.. أما أنا فلست مستعداً ولا حتى أسجن في سبيلك ليلة) أليس الكثير من الناس وصلوا إلى هذه، يكون لديه ستة أولاد أو أكثر وهو غير مستعد أن يترك أحداً منهم يذهب ليرفع شعاراً لأنه ربما سيُسجن، ربما. لكن الأقرب أن نقول من فوق المنابر: (اللهم، اللهم) أو من داخل بيته، أو من زاوية مسجده. هذه قضية لا تلمس لها أثراً في القرآن، بهذه الطريقة؛ لأن معناها اذهب أنت أمّا نحن: فلن نُقدم (لا كلمة ولا ريال ولا موقف) أليست تشبه كلمة بني إسرائيل؟ لكن لاحظ كيف كانت العقوبة سيئة جداً عليهم.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة: ٢٥) لم يعد يمتلك إلا نفسه وأخاه الذي يستجيب له - أمّا الآخرون فرفضوا - والرجلين اللذين قدما المقترح، وربما أنهما أيضاً قد أصبحا مجملين^(١) والله أعلم ﴿لَا أَمْلِكُ﴾ هو قال لم يعد يملك إلا نفسه وأخاه، فقد يكونون مؤيدين ربما قد يكونون كل واحد قد يرجع إلى ماذا؟ إلى السبب الذي هو منه، لكن يودون أن يستجيب الناس لموسى وأشياء من هذه.

(١) مجملين: من اللهجة العامية، وتعني: أن موقفهم قد أصبح تبعاً لموقف القبيلة.

عبارة موسى عندما يقول: ﴿رَبِّ إِنِّي لَأَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ ألم يُسمِّهم فاسقين هنا؟ خرجوا عن صراط الله ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (المائدة: ٢٦) لاحظ كم هي خسارة كبيرة: أرض كُتبت لهم، وكان بالإمكان أن يدخلوها فعلاً، وعبارة موسى توحى بهذا، لكن قد يكون لديهم رؤية - نقول: نحاول أن نكون بعيدين عنها - وهي رؤية: وكأن لك الفضل أنت، عندما يقول لهم: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ قد يتصورون: (إذاً من أجل سواد عيوننا، إذاً يخرجهم ونحن مستعدون أن ندخل)! لا، إنك يجب أن تعتبرها كلها فضلاً من الله، أي نعمة أنت فيها اعتبرها فضلاً من الله، ويجب أن تشكر الله عليها، وأن تثق بالله وتحبه؛ لأنه أسدى إليك نعمة كبيرة.

الأرض المقدسة تركها هنا مبهمة لم يفصلها، ذكر في آية أخرى قرية، لكن مفسرين مسلمين جاؤوا ليقولوا: (هي بلاد الشام)! أليس هذا من الأخطاء الكبيرة أن يقول لك: بلاد الشام؟! من أين علم؟ الله يقول هنا أرضاً مقدسة، لا أحد يدري بالتحديد ما هي، وأنت تأتي تعطيم مساحة، بلاد الشام والتي تعني ماذا؟ فلسطين ولبنان ومعظم ما يسمى بلاد الشام، فعلاً بعض المفسرين يفسرها هكذا، قد يكون يعتمد على إسرائيليات، على ناس من بني إسرائيل يفسرونها، ونفس الآية توحى عندما قال: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ أنها مدينة فعلاً، الأرض المقدسة أنها منطقة محدودة عندما قال: ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ أليست هذه توحى بأنها قرية؟ كيف يأتي مفسر ويجعلها بلاد الشام؟! إذاً فكانت العقوبة عليهم أن يتيهوا في الأرض أربعين سنة ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ (المائدة: ٢٦) معناه أن نبي الله موسى يتألم، لكن هنا لا تأس عليهم فهم يستحقون هذه. إلى هنا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمریکا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد بعد مزيد من
المراجعة والمقابلة مع (الكاسيت) الصوتي
بتاريخ: ٢٨ جمادى الآخرة ١٤٤٢ هـ
الموافق: ١٠/٢/٢٠٢١ م

الله أكبر
الموت لأمرئكنا
الموت لإسرائيل
اللجنة على اليهود
النصر للإسلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قاطعوا
الضلع الأمريكي
الإسرائيلية

دروس من هدي القرآن الكريم
ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٢	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١١	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/٩	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/٨	دروس من سورة آل عمران
الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٦	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١٥	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٤	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٣	دروس من سورة المائدة
دروس معرفة الله				
نعم الله الخامس ٢٠٠٢/١/٢٢	نعم الله الرابع ٢٠٠٢/١/٢١	نعم الله الثالث ٢٠٠٢/١/٢٠	نعم الله الثاني ٢٠٠٢/١/١٩	الثقة بالله - الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٨
وعده ووعيدته العاشر ٢٠٠٢/١/٢٩	وعده ووعيدته التاسع ٢٠٠٢/١/٢٨	عظمة الله الثامن ٢٠٠٢/١/٢٦	عظمة الله السابع ٢٠٠٢/١/٢٥	عظمة الله السادس ٢٠٠٢/١/٢٣
وعده ووعيدته الخامس عشر ٢٠٠٢/٢/٨	وعده ووعيدته الرابع عشر ٢٠٠٢/٢/٦	وعده ووعيدته الثالث عشر ٢٠٠٢/٢/٥	وعده ووعيدته الثاني عشر ٢٠٠٢/٢/٤	وعده ووعيدته الحادي عشر ٢٠٠٢/١/٣٠
دروس متفرقة				
في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (٢) ٢٠٠٢/٢/٢	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (١) ٢٠٠٢/٢/١	الهوية الإيمانية ٢٠٠٢/١/٣١	{أَشْتَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} ٢٠٠٢/١/٢٤	الصرخة في وجه المستكبرين ٢٠٠٢/١/١٧
{وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى} ٢٠٠٢/٢/١٠	معنى التسبيح ٢٠٠٢/٢/٩	معنى الصلاة على محمد وعلى آل محمد ٢٠٠٢/٢/٨	لتحذرن حذو بني إسرائيل ٢٠٠٢/٢/٧	خطر دخول أمريكا اليمن ٢٠٠٢/٢/٣
دروس من وحي عاشوراء ٢٠٠٢/٣/٢٣	خطورة المرحلة ٢٠٠٢/٣/١٦	مسؤولية طلاب العلوم الدينية ٢٠٠٢/٣/٩	الإرهاب والسلام ٢٠٠٢/٣/٨	{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِنَ الْجِنِّ} ٢٠٠٢/٢/١١
الإسلام وثقافة الاتباع ٢٠٠٢/٩/٢	{وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ٢٠٠٢/٩/٢	آيات من سورة الكهف الجمعة ٢٠٠٢/٨/٢٩	الثقافة القرآنية ٢٠٠٢/٨/٤	{وَمَجِيَّاي وَمَمَاتِي لِلَّهِ} ٢٠٠٢/٧/٢٦
دروس من غزوة أحد ذو الحجة ١٤٢٢هـ	يوم القدس العالمي ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ	أمر الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ	مسؤولية أهل البيت ٢٠٠٢/١٢/٢١	لا عذر لجميع أمام الله ١٤٢٢/١٢/٢١هـ
{وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي} ١٤٢٣هـ	حديث الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٣هـ	ذكرى استشهاد الإمام علي <small>عليه السلام</small> ١٩ رمضان ١٤٢٣هـ	الشعار سلاح وموقف ١١ رمضان ١٤٢٣هـ	آيات من سورة الواقعة ١٠ رمضان ١٤٢٣هـ
{وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ} }	{فَإِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى} }	الوحدة الإيمانية	{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} }	الموالاتة والمعاداة ١٤٢٣هـ
دروس مديح القرآن من الدرس الأول إلى الدرس السابع من تاريخ ٢٨/٥/٢٠٠٣ إلى تاريخ ٣/٦/٢٠٠٣				من نحن ومن هم
دروس شهر رمضان المبارك ١٤٢٤ هـ				
سورة البقرة: الآيات (١١٥-١٤٥) ٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٠٤-١١٤) ٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٦٧-١٠٣) ٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٤٠-٦٦) ٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٢١-٣٩) ٣ رمضان ١٤٢٤هـ
الآيات (٢٧٥-٢٧٥) من البقرة- ٣٢ من آل عمران) ١٢ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٢٥٢-٢٧٤) ١١ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٢١٥-٢٥٢) ١٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٨٥-٢١٤) ٩ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٤٦-١٨٦) ٨ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة النساء: الآيات (٤٣-١١٦) ١٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (١-٤٢) ١٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (١٦١- آخر السورة) ١٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (٩٢-١١٦) ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (٢٣-٩١) ١٣ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة الأنعام: الآيات (١-٣٩) ٢٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٥٥- آخر السورة) ٢٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٢٧- ٥٧) ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (١- ٢٦) ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (١٣٥- آخر السورة) ٢٠ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة الأعراف: الآيات (١٦٣- آخر السورة) ٢٩ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٦٢-١٣٨) ٢٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١-١٣٧) ٢٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١٠٣- آخر السورة) ٢٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (٣٩- ١٠٢) ٢٥ رمضان ١٤٢٤هـ

